الفصل الرابع
النشاط التجاري
في وادي النطرون
كما صوَّره الرحالة

الفصل الرابع

النشاط التجاري في وادي النطرون كما صوَّره الرحالة

شهد وادي النطرون – مثلما شهدت باقي أقاليم مصر – خلال فترة الدراسة تغيرًا في النشاط التجاري، وقدم الرحالة والمؤرخون القدامى الزائرون لوادي النطرون، وصفًا دقيقًا لهذا النشاط، فسجلوا مشاهداتهم سواء من ناحية الطرق التجارية البرية والمائية والسكك الحديدية، والقوافل التجارية، والأسواق، وفئات التجار وتجارتهم، وتجارة النطرون بكل أنواعه وأهميته وأثره في سوق التجارة العالمية، ومشكلاته وطرق حلها، والتبادل التجاري بين وادي النطرون والأقاليم الأخرى سواء داخل مصر أو خارجها، وهذ ما سوف نتعرض له في هذا الفصل.

الطرق البرية

تعرض بعض الرحالة الزائرين لوادي النطرون لوصف تفصيلي للطرق البرية التي مثلت شريانًا للتجارة ورابطًا لجهود الجماعات البشرية، فذكر الرحالة أنطوان فرانسوا أندريوسي Andreossy (١٧٩٨-١٨٠١م) تعدد الطرق البرية المؤدية إلى وادي النطرون، فكان منها الطريق القديم الذي يربطه بالدلتا في شرقه، فعند الرحيل من الطرانة يتخذ الطريق اتجاهه من الشرق إلى الغرب، في أرض صلبة يتغطى بالحصى والزلط، المختلف الألوان، وقد نسفت الرياح الرمال من هذه الأرض حتى تحولت إلى ممر جبلي بالغ الانخفاض، وبعضها تحول إلى تلال عند قرية بني سلامة وما قاربها، وغطت مقدارًا من أرض زراعية وكان يستمر من الطرانة في اتجاه شمالي غربي ليسير نحو ساعتين حيث يبدأ الطريق في الاستقامة عند مكان يعرف برأس البقرة، ويمضي نحو الشمال الغربي، مع ميل كبير إلى جهة الغرب، ومن هنا يهبط المسافر إلى مكان خرب عرف باسم «القصر» مربع الشكل مبنى من قطع صغيره من ضمنها النطرون وفي

كل زواياه من زاوية برج؛ ويستطيع المرء أن يرى من هذا المكان أديرة وادي النطرون [1].

والجدول التالي يوضح أطوال الطرق طبقا لما وصفه الرحالة أندريوسي التي كانت تخترق الوادي أو كانت تربطه مع ما يجاوره:

جدول (١/ ٤) [2]

المسافة المقطوعة مُبيَّنة بأمتار أو مقدرة بالساعات	عدد الأمتار	عدد الساعات	ملاحظات
من الطرانة إلى القصر	–	١٢	بالنسبة للقوافل
من القصر إلى البحيرة	٦٢٨	–	
من القصر إلى الطرف الجنوبي للبحيرات	–	١,٥	
من القصر إلى الطرف الشمالي	–	٤	
من القصر إلى دير البراموس	٧٢٣١	–	
من القصر إلى دير السريان	٧٤٣٠	–	
من دير اليراموس إلى السريان	٩٢٥٨	–	
المسافة بين دير السريان والأنبا بشوي	٤٤٤	–	
من دير السريان إلى دير الأنبا مقار	–	٣	حسب الاستدلال
من دير اليراموس إلى النهر بلا ماء	–	١,٥	
من دير السريان إلى النهر بلا ماء	–	١,٥	حسب الاستدلال
من دير الأنبا مقار إلى النهر بلا ماء	–	١	مع الاتجاه شمالًا وجنوبًا حسب الاستدلال
من دير الأنبا مقار إلى وردان عن طريق ميت سلامة	–	١١	

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج٢، ص٤٦؛على مبارك: الخطط التوفيقية، ج١٧، المرجع الساق، ص ٤٨-٥٦.

(٢) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج٢، ص٧٧.

من الجدول السابق يتضح لنا أن الوادي كان يرتبط بوادي النيل عند الطرانة، التي كان ضمن القرى التابعة لها، كما ارتبطت بمديرية البحيرة في الشمال، والجيزة في الجنوب بواسطة قرية وردان بطريق بني سلامة.

وقد أشار الرحالة إيفلين هوايت أن وادي النطرون ارتبط بطريق تجاري بري مع البحر المتوسط بواسطة درب الحاج مغربي الذي كان يخترق الوادي من الشمال إلى الجنوب محاذيًا لشرق المنخفض، وكانت تسلكه القوافل التجارية والحجاج المسلمون من الجهات الشمالية والشمالية الغربية من القارة الإفريقية مسافرين لأداء مناسك الحج عبر القاهرة، مما جعل بالوادي حركة وصل لتجارة المرور ما بين القاهرة والإسكندرية [١]، كما كان يوجد إلى الشرق من الطريق السابق طريق صحراوي كثيرًا ما كانت تسلكه جماعات الرهبان والعربان بالغرب من الطرانة[٢] بالإضافة إلى طريق آخر جنوب السابق يصل الدلتا عند أبو نشابة – الخطاطبة مباشرة وما بجوارها من نواح مثل أتريس ووردان وكان هذا الطريق مفضلًا عن الطريق السابق حيث وصفه هوايت قائلًا: « أن هذا الطريق كان أكثر أمنًا واستقرارًا» [٣]، على أية حال أدى تفرع طريق درب الحاج مغربي عند دير الأنبا مقار إلى دروب وطرق ومسالك أخرى إلى ربط وادي النطرون يقسم النجيلة وبالقرى الشمالية؛ مما ساهم في نشاط التجارة الداخلية بين نواحي الوادي[٤].

على أية حال، وجد طريق وصفه الرحالة ثيوفنت Thevenot الذي زار مصر ووادي النطرون عام ١٦٥٧ م، عرف بـطريق « الملائكة» وهو طريق ممتد إلى البرية الغربية. وقد أعانا جوهان ميشيل فانسليب Johann Michael Vansleb الذي زار وادي النطرون في سنة ١٦٧٢، وصفًا دقيقًا لطريق الملائكة حيث اخبره أحد ربيتة أديرة وادي النطرون بنقاط عديدة ذات

(١) إيفلين هوايت: المجلد الثالث، المرجع السابق، ص٣-١١.

(٢) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ١٤٥٤، شوال ١٢٣٩هـ/ مايو ١٨٢٤م.

(٣) إيفلين هوايت، ج٣، المرجع السابق، ص٣-١١.

(٤) مديرية البحيرة: س ٣٢٥، صادر الفروع إلى ناظر العربان، وثيقة رقم ٢٠٣، ٢ربيع أول ١٢٧٠هـ/ ٣ديسمبر١٨٥٣م، ص١١٢.

أهمية تشاهد في البرية. وأول هذه النقاط في طريق الملائكة طريق يربط بين ديري القديس الأنبا مقار(مقاريوس) والأنبا بيشوي، ومن هناك على بعد مسافة صغيرة في البرية يمتد خط طويل من الروابي على مسافة بضعة خطوات بين بعضها البعض، وتشكل نوعًا من الطريق، وطبقا للرهبان شكلت شكل الملائكة، وهذا الدرب يرتاده المتوحدون إلى الكنيسة أيام الآحاد، ولهذا السبب أطلق عليه «الملائكة» [١]. وقد وصف ذات الطريق الأب كلود سيكار Gloud sicard الذي زار أديرة وادي النطرون ١٧١٢م، حيث ذكر قائلًا: « طريق الملائكة عبارة عن خط طويل من أكوام صغيرة من الحجارة ويفصل كل كوم من الأكوام مسافة تكاد تكون سفر عدة أيام من الجنوب للشمال. وفي نفس المنطقة أشار إلى ربوة أو تل صغير[٢] يدعي عمود الشياطين، اعتادت الشياطين أن تكمن هناك للتسخير من الرهبان وتحاول أن تضلهم عن طريقهم للأديرة» [٣].

كما وجد طريق بري يربط ما بين وادي النطرون العامرية التي تقع غرب الإسكندرية بحوالي٣٠ كم بمدينة مرسي مطروح، كما كان هناك طريق من القاهرة إلى الوادي يقع إلى الغرب من جبل رزة ويبلغ طوله ١٣٠ كم نفس طول طريق الإسكندرية العامرية وادي النطرون؛ وكان هذا مفضلًا؛ إذ كان يتجنب البحيرات التي تقع في الوادي[٤].

وهناك طريق ساحلي زاد نشاطه التجاري في عهد الاحتلال البريطاني لمصر يربط ما بين الوادي بالإسكندرية بالسلوم ثم يتصل بالطريق الساحلي الممتد لشمال إفريقيا وكان يطلق علية اسم «طريق السيارات الخديوية» ويبدأ من الإسكندرية إلى الحمام إلى سيدي عبد الرحمن

---

(١) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) التل:هو عبارة عن أراض شبة هرمية أو قبابية الشكل ترتفع عما حولها، وتختلف عن الجبل من حيث الارتفاع والحجم إذ يتراوح ارتفاعه ما بين ٢٠٠م إلى ألفي قدم فوق مستوى سطح الأرض المجاورة له، كما تزيد درجة انحدار جوانبها عن خمس درجات.

(٣) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٤) محمود على سيف: المرجع السابق، ص٢٩.

إلى الضبعة[1] ثم إلى رأس الكنائس ثم مرسي مطروح ليلتقي مع طريق وادي النطرون مرسي مطروح السالف الذكر فسيدي براني فالسلوم، ويبلغ طوله ٥٣٠ كم، وكان هذا الطريق جافًا متربًا يصلح لسير العربات عليه ولكنه يصبح موحلًا لزجًا في كثير من أجزائه بعد سقوط الأمطار التي كانت عادة تسقط خلال الفترة ما بين ديسمبر ومارس[2].

كما ارتبط وادي النطرون بالواحات البحرية وواحة سيوه[3] بطريق بري يعرف بـ»درب القوافل» ويبدأ من الواحات البحرية من مدينة البويطى ويمر بقرية زابو ومنديشة في اتجاه شمالي شرقي وبالتحديد شرق خط طول ٢٩ شرقًا، وينتهي في درب الحاج مغربي شمال الوادي ويمر بالقويرات السود ويتجه غربًا إلى المغرة شرق منخفض القطارة ثم يمر ببئر أبي غرادق ويخترق منخفض القطارة إلى بئر قارة غرب المنخفض ثم يتجه إلى الجنوب بعد هذا البئر إلى بئر تيغيغ حيث يتجه غربًا إلى عين زيتون، فواحة سيوة[4].

أما في شرق وادي النطرون فيوجد طريقان – لربط الوادي بمراكز مديرية البحيرة – يتفرعان من الطريق الصحراوي مصر– الإسكندرية، وأحدهما يبدأ شمال النهيدات ويتجه

(١) الضبعة: من القرى التي تقع على ساحل البحر المتوسط، وصدر لها قرار في ٧ مايو ١٩٠٦ بأن تصبح مركزًا تابعًا لمرسي مطروح، للمزيد انظر: محمد رمزي، ق٢، ج٢، المرجع السابق، ص٢٣.

(٢) فاطمة علم الدين عبد الواحد: تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصر في عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢-١٩١٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩م، ص ١٤٥.

(٣) واحة سيوة: تقع في منخفض يبلغ ٧٠ قدمًا عن مستوى سطح البحر، وهي على بعد ٣٠٠ ميل غرب وادي النيل وعلى بعد ١٩٠ ميلًا جنوب غربي مرسي مطروح ويبلغ عرضها من أربعة إلى خمسة أميال، طولها ٣٠ ميلًا، وأغلب المساحة أراضٍ رملية، وتتكون من واحات متقاربة أهمها سيوة – المراغى– أغورمي – أبو شروف – قريشت، وأهم مدنها سيوة وأغورمى، وهي تتبع البحيرة بالمنشور رقم ١٢: الصادر في ١٩ يناير ١٨٩٨، وبتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩١٥، صدر قرار بإناطة مأمورية سيوة بموظف من ضباط خفر السواحل بدلًا من إناطتها بمأمور من موظفي الداخلية، وللمزيد انظر: محمد رمزي، ق٢، ج، المرجع السابق، ص٢٣؛ فاطمة علم الدين، المرجع السابق، ص١٤٢.

(٤) محمود على سيف، المرجع السابق، ص٣٠.

إلى الشمال الشرقي إلى الدلنجات[١] وإيتاي البارود[٢] والآخر يبدأ من عند علم شلتوت إلى أبو المطامير في محافظة البحيرة[٣].

ويعتبر الطريق الذي شقته الحكومة بين مصر والإسكندرية من الطرق الحديثة وهو المسمى بالطريق الصحراوي ويبعد ١٠٢ كم من القاهرة ونحو ١٢٢ كم من الإسكندرية، ويبعد الطريق عن الوادي نحو ثلاثة كيلو مترات في طريق مرصوف ثم نحو ٧كم إلى منتصف الوادي، وعند اتصال الطريق أقيمت استراحة وفنار لهداية السيارات ليلا[٤] وكان لهذه الطرق البرية أهمية استراتيجية فعن طريقها تمكنت قوات الدراويش من السودان، غزو مصر عدة مرات خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر[٥] كما تمكن أحمد السنوسي من خلالها من احتلال جميع واحات مصر وتهديد أهالي وادي النطرون في الصحراء الغربية؛ وعن طريقها أمكن للقوات المصرية أن تتحرك وتهزم المغيرين سواء الدراويش أو السنوسيين، حيث أرسلت قوات عام ١٩١٥م إلى وادي النطرون والفيوم لمراقبة الدروب القادمة من الغرب[٦].

---

(١) طريق الدلنجات: أنشئ في سنة ١٨٧١، وجعل مقره بلدة الدلنجات، وكانت دائرة اختصاصية في ذلك الوقت، تشمل عدة بلاد من مركزي دمنهور والنجيلة، ويقي بها إلى أن نقل ديوان المركز إلى إتياي البارود في سنة ١٨٤٤، مع بقاء المركز باسم الدلنجات، إلى أن ألغي هذا الاسم أيضًا سنة ١٨٩٦، بتسميته بمركز إيتاي البارود، وفي سنة ١٩٠١ صدر قرار بإعادة تكوين مركز الدلنجات كما كان، ولا يزال بها إلى اليوم، للمزيد انظر: محمد رمزي، المرجع السابق، ص٢١- ٢٢.

(٢) إيتاي البارود: لما رؤى أن بلده الدلنجات واقعة في النهاية القريبة من بلاد مركز الدلنجات، وبعيدة عن طريق السكة الحديدية، أصدرت نظارة الداخلية في سنة ١٨٨٤، قرارًا بنقل مركز الدلنجات إلى مركز إيتاي البارود، لمزيد من التفصيل انظر: نفسه.

(٣)محمود على سيف، المرجع السابق، ص ٣٠.

(٤)أنطونيوس الدويرى: المرجع السابق، ص١٥.

(٥) لمزيد من التفصيل انظر: فاطمة علم الدين، المرجع السابق، ص١٥٠.

(٦) وثائق دير السريان، وثيقة بدون رقم، سنة ١٩١٦.

الطرق المائية:

للنقل النهري أهمية خاصة في وادي النطرون، فلم تقتصر أهمية نهر النيل على دوره المعروف للزراعة والإنسان، بل جمع إلى ذلك كونه طريقًا تجاريًّا تنقل عبره البضائع والمسافرون، فقد كان هو والنقل البري الوسيلتين الوحيدتين تقريبًا للنقل بين أجزاء وادي النطرون.

فارتبط وادي النطرون بمدينة القاهرة بطريق تجاري نهري سمي بطريق القاهرة- الطرانة ويبدأ من ميناء بولاق النهري حيث مخازن الغلال والبضائع والملح والنطرون وغيرها، ويستمر حتى يتفرع النيل إلى فرعين هما دمياط شرقًا ورشيد غربًا، فتتخذ المراكب الفرع الأخير حتى تصل إلى قرية الطرانة، وتكون المراكب قد قطعت مسافة يبلغ طولها ٥٠,٥ ميلًا، وبعدها تفرغ المراكب شحنتها، لكي تنقل بواسطة قوافل الجمال إلى وسط الوادي[١] وتقتصر أهمية الطريق على نقل المسافرين والمواشي والبضائع وأهمها (الملح والنطرون) لتسويقها بالقاهرة[٢].يوهذا الطريق وصفه الرحالة ثيوفنت Thevenot الذي زار مصر ووادي النطرون عام ١٦٥٧ م، حيث ذكر عنه قائلًا: « كان الرهبان أو الكاشف المحلي أو عرب الصحراء يقومون بمهمة توصيل الزائرين لوادي النطرون عبر طريق القاهرة الطرانة النهري الذي شكل أهمية لكونه موصلًا تجاريًّا للنطرون والغلال والملح من الوادي إلى بولاق بالقاهرة»[٣]. وربما اعتقد أنه ذات الطريق الذي وصفه الأب كلود سيكار الذي زار وادي النطرون عام ١٧١٢م حيث ذكر قائلًا: «بدأت رحلتي لوادي النطرون من بولاق في ٥ ديسمبر ١٧١٢م في صحبة رئيس دير القديس الأنبا مقار، وأبحرنا في فرع رشيد إلى الوردان ومن هناك إلى عزبة إتريس حيث مقر دير الأنبا مقار(مقاريوس)[٤].

---

(1) Wilkinson, J. G: A handbook for Travelers in Egypt, London, 1867.p.p 223-229

الوقائع المصرية عدد٥٦، ٢٨ ربيع أول ١٢٦٤هـ/ ٢٧سبتمبر ١٨٢٩؛

(٢) مديرية البحيرة: س ٢٠، وثيقة ٣٣٦، ٢٢شعبان ١٢٦٤هـ/ ٢٨يوليو ١٨٤٨م، ص١٦٠٨.

(٣)هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٥٨.

(٤) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

كما ارتبط وادي النطرون بميناء رشيد الذي كان منفذًا لتجارته الداخلية والخارجية عبر النيل، حيث الطريق المسمي (رشيد - الطرانه) ويبدأ من الطرانة فبعد أن تتم عملية شحن المراكب تسير نحو الشمال حتى تصل إلى ميناء رشيد، وبعدها تفرغ المراكب حمولتها لتسويقها محليًّا أو لشحنها في مراكب أخرى أوروبية لتسويقها خارجيًّا[١].

وكان لإعادة حفر ترعة المحمودية سنة ١٨١٨م أو جعل مخرجها عند العطف بدلًا من الرحمانية دور في ربط وادي النطرون بمدينة الإسكندرية، التي أصبحت بفضل تلك الترعة أكبر ميناء لمصر على البحر المتوسط، وعن طريقها راجت التجارة الخارجية وبسببها ازداد الإنتاج الزراعي، حيث ارتبط الوادي بها بطريق يبدأ من الطرانه حتى العطف، وبعدها يتخذ اتجاه ترعة المحمودية حتى يصل إلى الإسكندرية[٢].

السكك الحديدية:

كما سجل لنا الرحالة أوديون Odion القيمة الاقتصادية والاجتماعية لإنشاء شركة الملح والصودا عام (١٨٩٩ - ١٩٤٧)[٣]، بوادي النطرون حيث وصف دورها الهامٌّ في ربط الوادي بالدلتا عن طريق خط سكة حديد يمتد بين الخطاطبة والوادي [٤]، ويبدأ هذا الطريق من بلده الخطاطبة ومنها شمالًا فيمر ببحيرات الحمراء والزجم، وجنوبًا لناحيتي كفر داود وبني سلامة وبحيرات روزينة وأم ريشة والفاسدة وغربًا من أجل استخراج الأحجار الجيرية التي للشركة

---

(١) محكمة رشيد: س ٢٠١، مادة ٤٨٩، غرة ذي القعدة ١٢١٨هـ/ ١٣ مارس ١٨٠٤، ص١٧٩.

(٢) محافظ أبحاث: محفظة رقم ١١٩، معية تركي، دفتر٤٦٤، مكاتبة رقم ١٦٢٧ محرم ١٢٦٥هـ/ ١٢ ديسمبر ١٨٤٨؛ سجلات الحوض والمحمودية، س رقم ١٤٢، وثيقة بدون رقم، أول يناير ١٨٨٤، ص١-٢.

(٣) سميت المنطقة التي قامت فيها الشركة باسم الهوكرية نسبة إلى مستر هوكر الذي كان من أوائل موظفيه.

(4) Odion: Notes about wadi El Natrun factuality of soilhaull Birmingham university , England, 1999.

بالإضافة إلى خدمة النواحي التي يمر بها مثل منطقة بئر فكتوريا[١] وأبو نشابة والوردان[٢] وما يجاورها، ومن أجل نقل حاصلات النطرون والعاملين من الوادي إلى الدلتا[٣]. ولا ننكر أن شركة الملح والصودا جذبت عددًا كبيرًا من المهاجرين إليها ولإقامة بالوادي وقراها[٤]. وأشار الرحالة عمر طوسون الذي زار وادي النطرون عام ١٩٣١م إلى تعدد طرق المواصلات إلى وادي النطرون ساهمت تنمية الوادي اقتصاديًّا[٥].

القوافل التجارية:

لما كانت الشاحنات التجارية تتعرض في أثناء انتقالها عبر الطرق المائية لكثير من المخاطر الأمنية حرص التجار على إرسال جزء من تجارتهم بالمراكب وجزء آخر بالقوافل، وقد ساعد الموقع الجغرافي لوادي النطرون على تعدد المسالك والبلدان التي انطلقت منها القوافل التجارية إليه أو منه، فكان بعضها داخليًّا والبعض الآخر خارجيًّا:

- **قوافل التجارة الداخلية:**

- **قوافل النطرون :**

قدم الرحالة أنطوان فرانسوا أندريوسي Andreossy وصفا تفصيليا لقوافل النطرون حيث ذكر أن استغلال النطرون كان جزءًا من التزام الطرانة، وكان يتم نقل النطرون في الفترة ما بين البذر والحصاد أي ما بين بين أكتوبر ويونيو[٦]، وأكدت الوثائق والرحالة على أن طريق القوافل

---

(١) أنطونبوس الدويري: المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) وردان: هي من القرى القديمة، تنتسب إلى وردان الرومي مولى عمرو بن العاص وقد قتل في الإسكندرية سنة ٥٣ هـ/ ٦٥٥م قتله الروم في أثناء ولايته عليها، وبسبب خراب هذه القرية التي كانت واقعة في حاجر الجبل الغربي، وورد ذكرها في معجم البلدان بإسم وادي وردان موضع بمصر، ورد ذكرها في قوانين ابن مماتي وفي تحفه الإرشاد باسم خراب وردان بحوف رمسيس، وبعد ذلك أنشئت القرية الحالية على شاطئ النيل فعرفت بإسم وردان، للمزيد انظر: محمد رمزي، ق٢، ج٣، المرجع السابق، ص ٦٦.

(٣)وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٤٨٣، ١٩ إبريل ١٨٩٥م

(4) Odion: Notes about wadi El Natrun factuality of soilhaull Birmingham university , England, 1999.

(٥)عمر طوسون: المرجع السابق، ص ١٥-٢٠.

(٦) تأليف علماء الحملة الفرنسية، ج٢، المرجع السابق، ص٥٠؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص١٨.

كان يبدأ من الطرانة إلى الوادي، حيث تحتشد قوافله في الطرانة [١]. وتتألف كل قافلة عادة من ١٥٠جملًا ومن٥٠٠- ٦٠٠ حمار، وتسافر مع طاقم مسلح لحراستها عند غروب الشمس، وتصل إلى الوادي في صباح اليوم التالي، ويتم تحميل النطرون ثم تعاود الرحيل[٢].

ويذكر أندريوسي قائلًا: «في أثناء العودة تتوقف القافلة في منتصف الطريق(منطقة الهوكيرية حاليًّا)[٣]، وتوقد النيران بروث حمير القافلة وجمالها التي مرت قبلها، للتزود بقليل من الخبز، وذلك بعجن الدقيق في طبق من الخشب، ثم بإنضاج العجين وتسويته على النار[٤]، وبعدها يأكلونه ويشربون القهوة ويدخنون في الغلايين، وينامون لبضع ساعات، ويشكل قائد طاقم الحراسة ومرشدها نقاط حراسة حولها لكي تظل القافلة في حمى ضد العربان[٥] وبعد ذلك تسير القافلة في طريقها وترجع إلى الطرانة في صبيحة اليوم الثالث»[٦].

ويقدر ما تحمله القافلة الواحدة بستمائة قنطار من النطرون، كل قنطار منها يزن ٤٨ أقة[٧] والطرانة هي مستودع النطرون وينقل منها في المراكب إلى القاهرة أو الإسكندرية أو رشيد أو من الميناءين الآخرين إلى أوروبا[٨].

---

(١) وثائق دير السريان، وثيقة رقم ٧٠٧، أواخر جماد الآخر ١٢٣٦هـ/ ٤ إبريل ١٨٢١م؛ مديرية البحيرة، س ٨٩٠، وارد من ناظر قسم النجيلة، وثيقة ٣٨٦، ٢٧ جماد الثاني ١٢٧١هـ/ ١٨ مارس ١٨٥٥م.

(٢) تأليف علماء الحملة الفرنسية، ج٢، المرجع السابق، ص٤٩-٥٠؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص١٨.

(٣) شركات وجمعيات: محفظة ١٧٠، مجلس الوزراء، بخصوص شركة الصودا، ٩ إبريل ١٨٩٩.

(٤) عمر طوسون: مرجع سابق، ص ١٨.

(٥) مديرية البحيرة: س ٤٢٢، صادر فروع لضابط العربان، وثيقة ٨٥، ٢٥ محرم ١٢٨٣هـ/ ٩ يونيو ١٨٦٦م، ص ٥٣.

(٦) مديرية البحيرة: س ٢٤٢، صادر فروع إلى متعهد البريجات، وثيقة ١٧، غرة جمادى الثاني ١٢٦٥هـ/ ٢٣ مايو ١٨٤٩، ص١١٢١.

(٧) الأقة: تساوي ٤٠٠ درهم أو رطلين ونصفًا، انظر: مجلس الوزراء، محفظة ١/ أ، مصلحة المساحة، لجنة تعديل المقاييس والمكاييل والأوزان، وثيقة بدون رقم، جماد الآخر ١٣٠٤هـ/ فبراير ١٨٨٧م، ص ٢٨، ٢٩، ٣٠.

(٨) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، وثيقة بدون رقم، ١٨ جماد الآخر ١٢٩٢هـ/ ٢١ يوليو ١٨٧٥م.

ومن الجدير بالذكر أن نظام هذه القوافل استمر حتى إنشاء شركة الملح والصودا سنة ١٨٩٩م بالوادي ومعها أنشئ خط سكة حديد لحمل النطرون من البحيرات إلى الشركة مباشرة، واستمرت الأوضاع حتى سنة ١٩٤٧م[١].

وذكر الرحالة عمر طوسون الذي زار الوادي عام ١٩٣١م أن توسع الأوروبيين في تصنيع النطرون إلى عدة منتجات كالبارود وتبييض الكتان واستخدامه في حفظ اللحوم أن اعتبروه سلعة اقتصادية بالغة الأهمية، ولذا اشتد عليه الطلب من جميع أنحاء العالم[٢] على نحو ما وصف سيور دو بولاري لوجوز Sieur De Boullary LeGouz الذي زار وادي النطرون عام ١٦٤٩م، حيث ذكر أن النطرون كان يتم تصديره إلى فافر، كما أشار أيضًا أندريوسي إلى تصديره عام ١٧٨٨م إلى مرسيليا – بكميات هائلة وكذلك إلى البندقية ولجهورن بإنجلترا وإلى النمسا وغيرها، مما شكل مصدرًا مهمًّا للخزينة المصرية، فكانت للوادي أهمية اقتصادية كبرى، وهذا ما أكدته الوثائق والمخطوطات وأقوال الرحالة[٣].

وذكر الرحالة أندريوسي أن فاقد وزن النطرون نتيجة عمليات الشحن والتفريغ يقدر بـــنحو(١ ٪)، وكان فلاحو قري الطرانة الستة الميري المقدر من عليهم نقل النطرون، وإذا ما حدث نتيجة لظهور العربان أو بفعل أحداث آخرى أو عانى استغلال النطرون بعض التعطيل، يدفع الفلاحون عشرة بارة عن كل قنطار كان مقدرًا أن ينقلوه، ويباع النطرون في مصر بسعر القنطار زنة (٣٦) أقة، بخردة واحدة والتي تساوي بدورها تسعين بارة، وكان المشتري يدفع أجرة الشحن النهري، وعلى الملتزم توفير طقم الحراسة وتسليحهم، ويدفع لهم أجورهم[٤].

---

(١) شركات وجمعيات: محفظة ١٧٠، مجلس الوزراء، بخصوص إنشاء شركة الملح والصودا، ٩ إبريل ١٨٩٩م.

(٢)عمر طوسون: المرجع السابق، ص ١٥-٢٠.

(٣) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٥٧.

(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية، ج٢، المرجع السابق، ص٥٠-٥١.

- قوافل الأديرة:

قدم الأب كلود سيكار Gloud sicard، الذي زار أديرة وادي النطرون عام ١٧١٢م وصفًا تفصيليًّا لقوافل الأديرة، حيث يقول: «كانت قافلة دير الأنبا مقار (مقاريوس) تتكون من عشرة حمير، ويُقدَّر ما تحمله القافلة بنحو طن من الحبوب والأرز والعدس والفول والسمك المملح (الفسيخ) والشمع والبخور، وكانت القافلة برئاسة رئيس الدير وأحد الرهبان ودليل من بدو وادي النطرون».

وقد أشار الرحالة إيفلين هوايت إلى أن قوافل وفدت إلى أديرة وادي النطرون كانت شبه تجارية[١]، وهذا ما أكدت عليه الوثائق ومثال ذلك قوافل دير السريان وكان رحلتها تبدأ من أتريس[٢] جنوب الوادي حيث توجد مزرعة الدير[٣]، وتسير في طريق صحراوي حتى يتفرع طريق درب الحاج مغربي إلى درب ومسالك، عند دير الأنبا مقار وتفرغ الشحنة وتنام القافلة بضع ساعات وفي الصباح تستكمل رحلتها لمسافة نحو ١٠ كم حتى تصل إلى دير السريان[٤].

وأكد الرحالة أوديون Odion الذي زار الدير في أوائل القرن العشرين، أن القافلة كانت تحمل معها مستلزمات الدير [٥]، من قمح وعدس وزيت ودخان وقهوة وفلفل وصابون وسكر وأوانٍ نحاسية وأقمشة[٦] وتعود من الدير إلى دير الأنبا مقار إلى أتريس محملة بالسلال والحصير ومنتجات الدير من الزيتون أو الملح لكي يتم تسويقه[٧].

---

(١) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٦٤-١٦٥.

(٢) أتريس: هي من القرى القديمة، ذكرها أميلينوا في جغرافيته وقال إن اسمها القديم Atyip، وهو يتفق مع اسمها العربي في التحفة من أعمال البحيرة، لأنها كانت تابعة لها في ذلك الوقت لقربها من حدودها الجنوبية؛ محمد رمزي: ق٢، ج٣، المرجع السابق، ص ٥٣، انظر ملحق ١٠.

(٣) وثائق دير السريان: ملف القوافل، وثيقة رقم ٦٢١، ١٦٠٣ ش/ ١٨٨٧، انظر ملحق ١٠.

(٤) نفسه: وثيقة ٦٤٥، ٩ رمضان ١٢٩١ هـ/ ٣٠ أكتوبر ١٨٧٤م.

(5) Odion: Notes about wadi El Natrun factuality of soilhaull Birmingham university , England, 1999.

(٦)وثائق دير السريان: وثيقة ١٣٠٥، ٤ النسي ١٦٠١ش/ ١٨٨٥م.

(٧) نفسه: وثيقة ٨٧٨، ١٨ برمودة ١٥٩٩ ش/ ١٨٨٣م.

واعتاد بعض العربان القيام بقيادة مثل هذه القوافل لخبرتهم وحنكتهم في الحفاظ على سلامة القافلة من التعرض للنهب، كما كان يتم الاتفاق مسبقًا ما بين الربيتة (المسئول عن شئون الدير الإدارية) والقادة مقابل الحصول على أجر عيني ومادي[١] ومن هؤلاء عامر شريعة وطنطاوي البدوي وأبو عطية[٢].

على أية حال، فقد كانت دروب قوافل الجمال التي تصل الوادي بإتريس تسير وسط كثبان رملية من الصعب معرفتها إلا بواسطة مَنْ أَلِفَها من العربان الذين ينتشرون في المنطقة، ولا يستطيع السير فيها إلا الجمال، فهي بطيئة الحركة وليست سريعة، كما أنها تخلو من العيون والآبار المائية إلا على مسافات طويلة مما يعرض المسافرين وجمالهم للظمأ[٣].

كما كانت هناك قافلة أخرى تأتي من ناحية كفر داود إلى دير الأنبا بشوي بوادي النطرون، وتبدأ رحلتها من كفر داود الواقع على وادي النيل جنوب الطرانة، حيث توجد مزرعة الدير[٤] وتسير في الشمال حتى الطرانة، وتتجه بعدها نحو الشمال الغربي في طريق صحراوي حتى تصل إلى بئر فكتوريا وتتوقف، وتنام القافلة ليلتها حتى الصباح، وتتزود بقليل من الماء والغذاء وتواصل سيرها حتى تصل إلى دير الأنبا بشوي، وأحيانًا كانت تستكمل رحلتها إلى دير السريان الذي يبعد نحو كيل متر، بعد أن تكون قد قطعت مسافة تقدر بنحو ٥٠ كم[٥].

وتمثلت حمولة القافلة إلى الدير، في السكر والحبوب كالأرز والقمح والفول والشعير والدخان، إلى جانب الأواني الفخارية والنحاسية والزيوت والصابون وأنواع من الأقمشة، حيث كانت تعود محملة بمنتجات رهبان الدير من السلال والحصير والصوف، أو حاصلات الوادي من الملح والنطرون والجلود والأصواف[٦].

---

(١) نفسه: وثيقة ٦٧٧، ١٩ مسرى ١٥٩٦ش/ ١٨٨٠م.

(٢) نفسه: وثيقة ١٣٠٥، ٤ النسي ١٦٠١ش/ ١٨٨٥م؛ وثيقة رقم ٧٤١، ١٥٩٦/ ١٨٨٠م.

(٣) نفسه: وثيقة ٦٣٢، ٤ من ذي القعدة ١٢٩١هـ/ ١٣ ديسمبر ١٨٧٤م.

(٤) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٦٧٦، ٢٢ ذي القعدة ١٢٩١هـ/ الأول من يناير ١٨٧٥م.

(٥) نفسه: وثيقة رقم ٧٨١، ١٧ ربيع أول ١٣٠١هـ/ ٦ يناير ١٨٨٤؛ نفسه، وثيقة ٧٤١، سنة ١٥٩٦ش/ ١٨٨٠م.

(٦) وثيقة رقم ٦٧٦، ٢٢ ذي القعدة ١٢٩١هـ/ الأول من يناير ١٨٧٥؛ نفسه، وثيقة رقم ٦٣٤، ١٣ يوليو ١٨٩٧م.

قوافل التجارة الخارجية:

- قوافل التجارة السودانية:

ارتبطت مصر مع السودان بعلاقات تجارية قوية منذ أقدم العصور، فبجانب الدور الذي يلعبه نهر النيل في توثيق الصلة بين البلدين، كانت القوافل المتجهة من وإلى السودان عبر الصحراء الغربية والشرقية لا تتوقف طول العام، ومن أشهر هذه القوافل قافلتا دارفور وسنار[١].

أما فيما يتعلق بقوافل التجارة السودانية ووادي النطرون، فقد وصف الرحالة الحسن بن محمد الوزان والمشهور بـــ» ليون الأفريقي» ارتباط وادي النطرون بقافلة دارفور بطريق غير مباشر عبر الصحراء الغربية وهو طريق غربي صحراوي يبدأ من دارفور ووادي شرق تشاد ويتوسط طريق نهر النيل والطريق الليبي التونسي، ويسمى الطريق الليبي، ربما لكونه يمر بعد أن يخرج من مصر بالصحراء الكبرى التي تسمى في جزء منها بالصحراء الغربية حتى تصل إلى وادي النطرون ومنها يتفرع الطريق إلى عدة اتجاهات منها طريق إلى فزان[٢] أو برقة في شمال ليبيا، وآخر يتجه إلى الإسكندرية أو مريوط شمال مصر، بالإضافة إلى طريق للقاهرة[٣].

وبالنسبة للبضائع التي كانت تجلبها قافلة دارفور فهي العبيد وسن الفيل والتمر هندي والصمغ العربي والششم وريش النعام والتبر (تراب الذهب) وقرن الكركدن الذي كان يستخدم في صنع السيوف والخناجر والقرب المصنوعة من جلود الثيران والجمال[٤]. ويذكر

---

(١) أحمد أحمد الحتة: المرجع السابق، ص٣٢.

(٢) فزان: هي منطقة كبيرة فيها قصور ضخمة وقرى كبيرة، ولكها مأهولة بأناس أغنياء، بالمال وبحدائق النخيل، وهم واقعون فعلًا على تخوم أغادس وصحراء ليبيا التي تتاخم مصر،على مسافة ستين يومًا على طريق القاهرة، لمزيد من التفصيل انظر: ابن الوزان الزبائن، وصف إفريقيا، المرجع السابق، ص ٥١٦-٥١٧؛ فاطمة علم الدين: المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٣) محمد عوض تاج الدين: السودان الشمالي، سكانه وقبائله، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، القاهرة، سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، ص ٢٣٥.

(٤) معية سنية عربي: ملخصات دفاتر، دفتر ٩، مكاتبة ١٤٣، ٦ صفر ١٢٣٧هـ/ ١ نوفمبر ١٨٢١م.

أوليفيه أنه كان من ضمن هذه البضائع نبات طبي ينمو في مصر العليا والنوبة وسنار في السودان ويوجد في الأراضي الرملية التي تصل إليها مياه النيل، وهناك نوعان؛ الأول منه أوراقه مدببة، والثاني أوراقه عريضة، وتجيء منه كميات كبيرة من مصر العليا إلى بولاق والقاهرة حيث ينقل بعد ذلك إلى أوروبا والأستانة وفارس وبلغ قيمة صادراتها إلى أوروبا خمسة ملاين فرنك[1].

أما البضائع التي كان يشتريها تجار قافلة دارفور فقد كانت تشمل المنسوجات القطنية السورية، والأقمشة الكتانية المصرية والشيلان والطرابيش والنحاس والزجاج والرصاص، والكبريت والأسلحة، بالإضافة إلى السكر والتين[2].

- قوافل الحجاج والتجار المغاربة:

تميز الوجود المغربي في مصر منذ أقدم العصور بمكانة خاصة في النشاط الاقتصادي، فكانت تصل إلى مصر القوافل التجارية من ثلاثة اتجاهات وهي:

أولًا- من الجنوب والسودان وإفريقيا، حيث كانت السلع التي تشتهر بها تلك المناطق تأتي بطريق القوافل المشهور والمعروف «بدرب الأربعين» من دارفور غرب السودان إلى أسيوط في صعيد مصر[3].

ثانيًا- من الشرق والشام، حيث كان التجار الشوام في حال ذهاب وعودة متواصلين إلى بلاد المغرب[4].

---

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) محافظ الذوات: محفظة ٤٠، دفتر ٧ معية تركي: وثيقة رقم ٢٩٩، ٢٣ رمضان ١٢٢٩هـ/ ٨ سبتمبر ١٨١٤؛ محمد عوض تاج الدين: المرجع السابق، ص ٢٣٦-٢٣٩.

(٣) يونان لبيب رزق ومحمد مزين: تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور حتى عام ١٩١٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠، ص ١٨٠-١٨٢.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر:سحر على حنفي، العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠، ص ١٩٧- ٢٠٠٢.

ثالثًا- الطريق الغربي، من حيث يأتي المغاربة عبر الصحراء الغربية بوادي النطرون إلى القاهرة[١].

أما فيما يتعلق بالاتجاه الثالث وهو ما يهمنا في موضوع الدراسة فيبدأ من مجيء المغاربة؛ فإنهم لم يأتوا بهدف التجارة وحده، بل أتوا قبل ذلك بهدف الحج وكان تحقيق هذا الهدف يحتم الوصول إلى الحجاز عبورا بمصر، كما كان يحتم في نفس الوقت قضاء فترة قد تطول على الأراضي المصرية انتظارًا للخروج مع قافلة الحج[٢].

فكان ركب الحج المغربي يصل في العادة إلى القاهرة خلال النصف الثاني من رمضان بعد أكثر من ثلاثة شهور من خروجه من فاس، حيث كان يشق طريقه في المناطق الصحراوية التي تندر بها مصادر المياه، خاصة تلك الممتدة من طرابلس عبر الصحراء الغربية في مصر، وكانت مدة اجتيازها تصل إلى خمسين يومًا حتى يصل إلى وادي النطرون، فيتزودوا بالماء والغذاء ثم يصلون بعدها إلى الطرانة ثم يواصلون الطريق بالمراكب إلى إمبابة التي تقع على شاطئ النيل الغربي قبالة القاهرة[٣]، بالإضافة إلى ذلك كانت قوافل من الحجاج الوافدة من المغرب العربي تفضل الطريق الساحلي من طبرق أو واحة جغبوب (بصحراء ليبيا) إلى سيوة إلى وادي النطرون إلى القاهرة[٤]، بينما فضلت بعض القوافل مواصلة الطريق الساحلي حتى مدينة الإسكندرية لتبيع حمولتها ثم تواصل طريقها إما عن طريق نهر النيل (فرع رشيد) وإما عن طريق السكة الحديدية بعد إنشائها سنة ١٨٥٦م إلى القاهرة للسفر إلى السويس لأداء مناسك الحج بالأراضي المقدسة[٥].

---

(١) يونان لبيب رزق ومحمد مزين: المرجع السابق، ص ١٨١؛ عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، وثيقة رقم ٢٣٢،١٥ جماد أول ١٢٩٢هـ/ ١٩ يونيو ١٨٧٤م.

(٣) يونان لبيب رزق ومحمد مزين: المرجع السابق، ص ٤٨-٥١.

(٤) ديوان خديوي تركي: دفتر ٧٧٠، من المجلس العالي إلى الديوان الخديوي، وثيقة ١٨٠، ١٩ ربيع الأول ١٢٤٦هـ/ ٧ سبتمبر ١٨٣٠، ص ١١٩؛ فاطمة علم الدين، المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٥) ديوان المجلس الخصوصي:محفظة ٢٤، وثيقة ٦٣٢، ٨ جماد أول ١٩٩٢هـ/ ١٢ يونيو ١٨٧٥م.

وقد فُرض على قوافل الحجاج والتجارة المغربية تعليمات من جانب الحكومة المصرية، كان منها سداد جمارك تجارتهم، ودفع كل فرد منهم خمسة قروش[١] بالإضافة إلى إقامتهم ببضاعتهم بمناطق الكورنتينة Quarantäne (الحجر الصحي)، وتمثلت قوافل الإسكندرية بكورنتينة القباري[٢] بينما تمثلت قوافل وادي النطرون في كورنتينة الطرانة وكفر داود[٣].

وفيما يختص بالبضائع التي تحملها قوافل الحجاج والتجار المغاربة، فكانت تتضمن أنواعًا مختلفة من الزيوت والعسل والزبد والزبيب والبندق، والطرابيش، والشيلان الصوفية البيضاء، والمعاطف المزودة بغطا الرأس (البرانس)، والأحرمة والأحجار الكريمة والحلي والأسلحة وتراب الذهب والكبريت والعطور[٤].

وفي المقابل تحمل قوافل التجار المغاربة إلى بلاد المغرب البضائع من البن والتوابل وملح النشادر والنطرون والنيلة واللبان والحنا والأقمشة القطنية والحريرية والكتانية وخشب المر[٥].

الأسواق:

شهد وادي النطرون خلال فترة الدراسة مجموعة من الأسواق نظمت من خلالها عمليات التبادل التجاري التي كانت تعقد محليًّا داخل القرى أو المدن وهذه الأسواق هي:

---

(١) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، وثيقة ٢٣٢، ١٥ جماد أول ١٢٩٢هـ/ ١٩ يونيو ١٨٧٤م.

(٢) نفسه: وثيقة رقم ٦٣٢، ٨ جماد أول ١٢٩٢هـ/ ١٢ يونيو ١٨٧٥.

(٣) مديرية البحيرة: س ٩٩٥، وارد من ناظر قسم النجيلة وثيقة ٤٩٣، ١٨ جمادى الأولى ١٢٧٥هـ/ ٢٤ ديسمبر ١٨٥٨، ص ٩٧.

(٤) محكمة الإسكندرية: س ١٣٨، مادة ١٨٩، ٢١ شوال ١٢٤٩هـ/ ٢ مارس ١٨٣٤م، ص ٣٢؛ مجلس تجار الإسكندرية، س رقم ١٧٧٨، صادر لضبطية الإسكندرية، وثيقة رقم ٧، ٩ شعبان ١٢٩١هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٨٧٤، ص ١.

(٥) محكمة إسكندرية ١٢١، مادة ٤١، ٢ رجب ١٢٣٠هـ/ ١٠ يونيو ١٨٥، ص٢١؛ نفسه س ١٢٠، مادة ٢٩٥، أواخر ذي القعدة ١٢٢٩هـ/ أو نوفمبر ١٨١٤، ص٢٧٥.

أسواق القرى:

وهي أسواق تعقد مرة في الأسبوع، وكانت كل قرية من قرى الوادي تتخذ يومًا لها سوقًا، تباع فيها أنواع الحبوب والمواشي والجلود وثياب القطن والصوف واللحم والعقاقير والحصر والحلفا والسمار والسلال والحبال والليف والدخان البلدي والبطيخ والبلح بأنواعه والعجوة، ونحو ذلك مما هو معتاد بيعه في الأسواق الريفية[١] ولم تكن سوق القرية تقتصر على سكانها فقط، بل كان سكان القرى المجاورة الذين يرغبون في تسويق منتجاتهم يشاركون فيها وكان التجار بدورهم ينتقلون من سوق قرية إلى سوق أخرى، حتى إذا انتهي الأسبوع أتموا دورتهم، ثم يبدوأنها في الأسبوع التالي بنفس النظام وبنفس المواعيد[٢].

وكانت الطرانة من أهم أسواق قرى الوادي، حيث شهدت مختلف الصفقات التجارية سواء بين قرى الوادي أوالأقاليم المجاورة أو للتصدير للخارج لأنها تعتبر المركز الرئيسي لتسويق النطرون ويأتي إليها التجار من كل بقاع مصر أو الدول الغربية أو الأوروبية، بالإضافة إلى ارتفاع كثافتها السكانية بين قرى الوادي[٣].

كما كان سوق قرية البريجات من الأسواق الهامة، نظرًا لأنها كانت منفذًا حيويًّا لتصريف المواشي والجمال وبعض الحاصلات الزراعية ومنتجات معمل الزجاج بمختلف أشكالها[٤]،

---

(١) معية سنية تركي: محفظة ٣٩، ملخصات دفاتر، دفتر ١١٠، صادر من المعية إلى مفتش الأقاليم البحرية، وثيقة ٤، ٢٢ محرم ١٢٧٠هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٨٥٣م، ص ١٤٥.

(٢) أحمد الشربيني السيد: تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية ١٨٤٠-١٩١٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٠٩.

(٣) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، وثيقة بدون رقم ، بتاريخ ٢٢ جماد آخر ١٢٩٢هـ/ ٢٦ يوليو ١٨٧٥م.

(٤) مديرية البحيرة: س ٢٥٠، صادر الفروع إلى جهات سايرة، وثيقة ٩٤٤، ٢٥ جمادى الأولى ١٢٦٦هـ/ ١٨ إبريل ١٨٥١م، ص ٣٧٢.

أما سوق كفر داود فقد وجدت إقبالاً من عربان الوادي لبيع ما لديهم من المواشي والصوف الخام والجلود وشراء الملابس الكتانية والقطنية والدخان البلدي[١].

وكانت هناك قرى بالوادي لا تتمتع بإقامة هذا النوع من الأسواق الأسبوعية، ويرجع ذلك إلى قلة عدد سكانها، ولصعوبة الاتصال بينها وبين القرى المجاورة لها، مما لا يتيح لها إقامة سوق تمكنها من تكوين دورة سوقية أسبوعية مع القرى المجاورة[٢] واعتمدت هذه القرى في تسويقها على أسواق القرى أو المدن الأقرب لها فقد كان أهالي عزبة الطرانة والأخماس يتسوقون من سوق الطرانة أو كفر داود لقرب المسافة لهما[٣].

أسواق المدن:

وكما كانت هناك أسواق أسبوعية في الريف، كانت بكل مدينة على الأقل سوق أسبوعية يتم فيها تبادل السلع بين المدينة صاحبة السوق والمدن والقرى التي تحيط بها بالبضائع الريفية[٤] وقد جرت العادة أن تقسم كل سوق إلى أقسام، كل قسم خاص بنوع معين من السلع، فقسم للحبوب وآخر للحوم وثالث للمواشي، وهكذا[٥].

وكانت سوق مدينة النجيلة يجلب إليها من بضائع قرى وادي النطرون المواشي والخيول والجمال والحمير متعددة الألوان[٦]، والجلود، ومنتجات الألبان (السمن والجبن والقشطة) والخضر والفاكهة والبلح والعجوة السيوية التي كانت تستحضر من سيوة وتصنع بقرى

---

(١) محكمة النجيلة: س ٧٢٩، مادة ٢٣٩، ٤ رجب ١٢٩٣هـ/ ٢٦ يوليو ١٨٧٦م، ص ٧٨.

(٢) أحمد الشربيني: المرجع السابق، ص١١٠.

(٣) محكمة النجيلة: س ٧٢٦، مادة ٢٨٧، ٢٨ ذي القعدة ١٢٦٨/ ٢ مارس ١٨٧٠، ص١٠٨.

(٤) أحمد الشربيني: المرجع السابق، ص ١١١.

(٥) محمد فهمي لهيطة: تاريخ مصر الاقتصادي في العصور الحديثة، الطبعة الثانية، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٤م، ص٢٠٢.

(٦) محكمة البحيرة: س ٥٢، مادة ١٨٨، ١٦ رمضان ١٢٨٦هـ/ ٢٠ ديسمبر ١٨٦٩م، ص ٤٥.

الوادي ويتم بيعها بهذه السوق[1] بالإضافة إلى حصير الحلفا والسمار والسلال وخاصة التي يصنعها رهبان الأديرة[2] ومنتجات الصابون والزيوت من شركة الملح والصودا بالوادي[3] ومنتجات الزجاج من مصنع البريجات[4].

الأسواق الموسمية (الدينية):

وهي الأسواق التي كانت تقام في أيام معينة من السنة، وتعقد بالقرب من أضرحة أولياء الله الصالحين والقديسين في القرى والمدن على السواء، فتتحول الموالد إلى أسواق كبرى تروج فيها البضائع وتنشط حركة التسويق، ولا سيما أنه كان يتم في هذه الأسواق شراء السلع المهمة، مثل السلع الخاصة بالزواج من أثاث وأدوات ومفروشات، رغبة في التماس بركة الولي في إتمام الزواج أو التباهي والتفاخر بين الأهل بالشراء من هذه الأسواق[5].

وقد اهتمت أجهزة الإدارة بالأسواق الدينية، وأولتها عنايتها عند انعقادها سنويًّا، فأخذت تعمل على توفير الأمن لهذه الأسواق وحماية التجار من شغب المتسولين وخطافي الأرزاق والعمل على توفير وتنظيم المواصلات وحماية الزوار من يدي العابثين[6].

ومن الأسواق الدينية التي ارتبط بها سكان وادي النطرون سوق مولد سيدي خضر الأنصاري وسيدي أحمد الزواوي[7] وسيدي على الطنبجي وسيدي عمر الأقلامي بمدينة

---

(١) محكمة سيوة: س ١٢٤٢، مادة ١٠، ٢٤ ذو القعدة ١٣٠٥هـ/ أغسطس ١٨٨٨م، ص٨.

(٢) محكمة البحيرة: س ٣٧، مادة ٢٤٢، ٢٧ ربيع آخر ١٢٣٥هـ

(٣) شركات وجمعيات: محفظة ١٧٠، مجلس الوزراء، مجموعة ٦٣، وثيقة بدون رقم، ٩ إبريل ١٨٩٩ ؛ انظر الشكل رقم ٤.

(٤) مديرية البحيرة: س ١١٨٩، صادر قيد القرارات، وثيقة ٦٤، ١٦ جماد الثاني ١٢٧١هـ/ ٦ مارس ١٨٥٥م، ص ٣٦.

(٥) محمد فهمي لهيطة: المرجع السابق، ص ٣٩.

(٦) قرارات ومنشورات: ١١ يوليو ١٩٠٤، مطبعة بولاق، سنة ١٩٠٥، ص ٢٤٩.

(٧) محكمة البحيرة: تقارير النظر، س ٢٨٧، ج١، مادة ٢، ٢٩ جمادى الأولى ١٣١٥هـ/ ٢٦ أكتوبر ١٨٩٧، ص١.

دمنهور[١] و من المقامات الشيخ خطاب بالبريجات[٢] ومقام الشيخ قاسم بنكلة[٣] ومن الموالد القبطية مولد السيدة العذراء بالطرانة، والأنبا بيشوي بكفر داود، ومارجرجس بالخطاطبة[٤].

- التجار:

تمثل تجار وادي النطرون خلال فترة الدراسة في ثلاث فئات:

الفئة الأولى:

وتكونت من التجار قاطني الوادي أو المقيمين بالمدن القريبة منه وهؤلاء الذين امتهنوا العمل بالتجارة عملًا أساسيًّا وحيدًا يتكسبون منه عيشهم وتخصصوا في سلعة معينة، سواء كانوا تجارًا مصريون أو أجانب[٥]، وزاد نشاطهم بعد تسوية لندن ١٨٤٠م[٦] وفي طليعتها معاهدة بلطة ليمان التي ألغت نظام الاحتكار وألزمت محمد علي بفتح الأسواق أمام التجار المحليين والأجانب فراح التجار يجوبون البلاد لشراء الحاصلات من المنتجين بعد أن كانوا مضطرين للشراء من الحكومة[٧] وزاد عددهم وخاصة في عهد سعيد وإسماعيل حتى نهاية القرن العشرين[٨].

---

(١) مديرية البحيرة: س ١٠٣، صادر الدواوين إلى سايرة، وثيقة ٣٦، ١١ شوال ١٢٧٤هـ/ ٢٥ مايو ١٨٥٨، ص٣٤.

(٢) نفسه: س ٢٧، مادة ٣٤٢، غرة رمضان ١٢١٥هـ/ ١٦ يناير ١٨٠١م، ص١٦٠.

(٣) ديوان معية سنية تركي: محفظة ٩٠، ملخصات دفاتر، دفتر ٨، وثيقة ٥٤٠، ١٤ شوال ١٢٥٢هـ/ ٢١ يناير ١٨٣٧م.

(٤) وثائق دير السريان: وثقة رقم ٦٣٢، ٤ من ذي القعدة ١٢٩١هـ/ ١٣ ديسمبر ١٨٧٤.

(٥) محافظ الأبحاث: محفظة ٥٠، وثيقة ٧٨، ٧ ربيع الآخر ١٢٦١هـ/ ١٦ مارس ١٨٤٥م.

(٦) لمزيد من التفصيل عن تسوية لندن ١٨٤٠ التي كسرت حلقة الاحتكار انظر؛عاصم الدسوقي: بناء اقتصاديات مصر، مقال بمجلة الهلال، عدد أكتوبر ١٩٩٨م، ص ٧٦-٧٧.

(٧) محمد طلعت حرب: علاج مصر الاقتصادي ومشروع بناء بنك المصريين أو بنك الأمة، تحقيق رءوف عباس حامد، مطبعة دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، بقلم المحقق ص ٥.

(٨) محمد عبد العزيز عجمية، ومحمد محروس إسماعيل: الوجيز في التطور الاقتصادي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية ١٩٧٠، ص٢٢٤.

فمع تراجع دور الدولة نشط تجار هذه الفئة من الوطنيين بوادي النطرون مارسوا تجارة الغلال وخاصة الفول والقمح والشعير فاشتهر منهم شعبان حمودة[١] وعلي عبد الله[٢]، كما اشتهر بتجارة الأرز بنوعيه الرشيدي والدمياطي عبود ميخائيل[٣] وخميس حسن[٤].

كما تخصص البعض منهم في ممارسة نشاط تجاري معين، فاشتهر بتجارة الفلفل على أحمد[٥] بينما تخصص أحمد إنبابي في البلح بنوعيه (الزغلول والإبريمي)[٦] كما اشتهر حسن رحومة وسالم العيسوي بتجارة الأقمشة[٧] بينما اقتصرت تجارة الدخان بالوادي على أحمد موسى[٨] وخليل كامل[٩].

وتاجر التجار العرب في وادي النطرون في القطن والغلال والجلود، وشاعت على أيديهم تجارة الأقمشة والشالات الكشمير والأجواخ الشامية[١٠] فاشتهر منهم إلياس يوسف الشامي في تجارة القطن[١١] ومحمد المهيري المغربي في الغلال[١٢] وإبراهيم محبوب في الجلود[١٣].

---

(١) محكمة البحيرة: س ٧٢، مادة ١٧٦، ٢٦ ذي الحجة ١٣٠٧هـ/ ٢ أغسطس ١٨٩٠، ص٧٣.

(٢) نفسه: مادة ١٧٧، ٢٠ ذي الحجة ١٣٠٧هـ/ ١٢ أغسطس ١٨٩٠، ص٧٣.

(٣) محافظة رشيد: س ١٧٢، ١٤/ ٣/ ٤، صادر إلى سايرة، وثيقة ٤٦٣، ٤ شوال ١٢٦٤هـ/ ٣ سبتمبر ١٨٤٨م، ص١٣٦.

(٤) نفسه: س ١٧٤، ١٤/ ٣/ ٦، وثيقة ١٩٣، ٢٠ ربيع الأول ١٢٦٥هـ/ ١٣ فبراير ١٨٤٩م، ص ٢٧.

(٥) مديرية البحيرة: س ٥٣٦، صادر فروع إلى ضبطية دمنهور، وثيقة ٩٩٣، ١٥ محرم ١٢٩٧هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨٧٩م، ص٣٠.

(٦) نفسه: صادر الدواوين للداير البلدية بالمحروسة، وثيقة ١٥٧، ٢٤ شوال ١٢٩٤هـ/ ٢ نوفمبر ١٨٧٧م، ص ٢٠.

(٧) محكمة البحيرة: س ١٧٢، مادة ١٩، ٢٠ صفر ١٢٩٩هـ/ ١١ يناير ١٨٨٢م، ص ١٤.

(٨) مضبطة البحيرة: س ١٨، مادة ٢٩٩، ١٥ من ذي الحجة ١٢٨٤هـ/ ٨ إبريل ١٨٦٨م، ص١٢٨.

(٩) مديرية البحيرة: س ١٠٣٦، ج١، وارد الجفالك للبحيرة، وثيقة ٥، ٢٦ محرم ١٢٨٥هـ/ ١٩ مايو ١٨٦٨م، ص ٦.

(١٠) الأهرام: عدد ٣٦٣٤، ٢٩ يناير ١٨٩٠.

(١١) ديوان التجارة والمبيعات: س ٥٢٩٥ ج١، وارد قيد التحريرات الواردة، وثيقة ٢٠، ٢٧ ذي القعدة ١٢٦٧هـ/ ٣ سبتمبر ١٨٥١، ص٢٣.

(١٢) محكمة البحيرة: س ١٨٠، مادة ١٥، ٧ شعبان ١٣٠٢هـ/ ٢٨ مارس ١٨٨٥، ص٢٠.

(١٣) محكمة الإسكندرية: س ٥٥٢، مبايعات، مادة ٦٦٣، ٢١ ذى الحجة ١٣٠١هـ/ ١١ أكتوبر ١٨٨٤، ص٧٣٠.

كما زاد عدد التجار الأجانب، خاصة في عصر إسماعيل ومارسوا مختلف التجارات بالوادي ومنهم تجار الغلال والقطن والكتان والمواشي والأصواف والحمص والسمسم والدخان، فاشتهر منهم على سبيل المثال الخواجة باجييو وميتوه أسيلي من رعايا دولة اليونان[١] وربجو نقولا الإيطالي بتجارة الغلال[٢] والخواجة إميل مرسيه الفرنسي بتجارة الأصناف[٣] والطاليانية مريتا ترنويه بالدخان[٤].

الفئة الثانية:

وتكونت من التجار السفارة المترددين على الوادي واقتضت طبيعة عملهم عدم التخصص في سلعة معينة، ولذلك وجدناهم يتجارون في سلع متنوعة اشتملت على الأقمشة الكتانية والأحرمة الصوفية والحصير والبلح والسلال والغلال والزيوت والصابون والخيول، واشتهر منهم –على سبيل المثال– من المصريين على بدوي السكندري[٥] ومحمد داود الشهير بالصعيدي من سيوة[٦] ومن التجار العرب أنطون فضل الله الشامي[٧] ومن الأجانب الخواجة طناسيوس سفاكير الأرمني[٨] والخواجة إميل باشوه الإيطالي[٩].

---

(١) مضبطة البحيرة: س ١٧، مادة ٢٩٨، ٦ ربيع الآخر ١٢٨٥هـ/ ٢٧ يوليو ١٨٦٨، ص ١٣٥؛ معية سنية تركي، محفظة ١٥، وثيقة ٣٩، ٨ محرم ١٢٧٤هـ/ ٢٩أغسطس ١٨٥٧.

(٢) محكمة البحيرة: س ١٧١، مبايعات، مادة ١٦٨، ٢٩محرم ١٢٩٩هـ/ ٢١ ديسمبر ١٨٨١م، ص٢٣٠.

(٣)نفسه: س ١٧٧، مادة ٢٧، ٢٥ شعبان ١٣٠١هـ/ ١٨ يونية ١٨٨٤م، ص٣٨، مجلس الوزراء، محفظة ١/ أ، مجموعة ١٣، وثيقة بدون رقم، ٢٥ ديسمبر ١٨٨٨.

(٤) محكمة البحيرة: س ١٩٨، مادة ١١، ٢٧ جماد آخر ١٣١٠هـ/ ٢٧ ديسمبر ١٨٩٢، ص٨.

(٥) ديوان خديوي: محفظة ١٣١، ملخصات دفاتر، دفتر ٧٦٩، من مأمور الديوان الخديوي إلى فرهاد بك مأمور نصف البحيرة، وثيقة رقم ١٩٩، غرة صفر ١٢٤٦هـ/ ٢٢ يوليو ١٨٣٠م

(٦) محكمة سيوة: س ١٢٤٥، مادة ٥، ٦ شعبان ١٣٠٧هـ/ ٢٧ مارس ١٨٩٠، ص ٧.

(٧) ديوان خديوي: محفظة ١٢٨، ملخصات ديوان خديوي، دفتر ٧٦٤، ومن الديوان الخديوي إلى شريف عمر أغا رئيس التجار، وثيقة ٤٦٧، ١٢ صفر ١٢٥٤هـ/ ٧ مايو ١٨٣٨م.

(٨) ديوان معية سنية عربي: دفتر ١٣٠، من المعية السنية إلى شهبندر إيران، وثيقة ٥٤٧، ٣ جمادى الأولى ١٢٧٠هـ/ الأول من فبراير ١٨٥٤م، ص ١٧٥.

(٩) محكمة الإسكندرية: س ٤، ، مادة ١٧٤، ١٠ شوال ١٢٨٢هـ/ ٢٦ فبراير ١٨٦٦، ص ٦٩.

الفئة الثالثة:

وتتكون من الذين عملوا بالتجارة كعمل إضافي بجانب عملهم الأساسي، بحيث كانت التجارة مجالًا إضافيًا لزيادة أرباحهم واستثمار فائض أموالهم وإن اقتصرت هذه الفئة على القاطنين بالوادي، فمنهم على سبيل المثال – المزارعان– أحمد سيد الذي شارك بنصف حصة في تجارة الدخان[١] وميخائيل منقريوس الذي تاجر في شتى الأصناف[٢] كما مارس السيد مكي المنجد التجارة بجوار مهنته[٣] وامتلك الحداد خليل إبراهيم محلًا للحلاوة السكرية بدمنهور[٤].

النطرون وتجارته:

شهد وادي النطرون خلال فترة الدراسة نشاطًا اقتصاديًّا تمثل في استخراج النطرون من البحيرات المنتشرة بين أرجائه، وجذب هذا النشاط أنظار الحكام إليه وجعلوه من مصادر الدخل في الدولة، وترتب على ذلك عناية الحكومة به وإدارتها شئونه.

– النطرون وأنواعه وأهميته:

يعرف النطرون عند العامة وسكان البدو باسم «الأطرون»[٥] وهم الاسم الكيميائي الذي يطلق على الصودا الطبيعية في مصر، وهذه الصودا تتكون من خليط من كربونات الصوديوم وبيكربونات الصوديوم، وكلوريد الصوديوم، وكبريتاته وذلك بنسب مختلفة، كما أنها أيضًا تحتوي على بعض الشوائب من الرمال والطمي وكربونات الكالسيوم[٦] ولها مذاق خليط من

(١) محكمة النجيلة: س ٣١٨، مادة ١٨ ١٢ ذي القعدة ١٣٢٠هـ/ ١٠ فبراير ١٩٠٣، ص٦.
(٢) محكمة البحيرة: س ١٨٥، مادة ٥، ٤ ربيع الثاني ١٣٠٥هـ/ ١٣ ديسمبر ١٨٨٧، ص٦.
(٣) نفسه: س ٧٩، مادة ٢، ٢٠ ربيع أول ١٣١١هـ/ الأول من أكتوبر ١٨٩٣، ص١.
(٤) نفسه.
(٥) محافظ الأبحاث: محفظة ٥٨، وثيقة ٢٩، ٢٠ ربيع الأول ١٢٣٥هـ/ ٧ يناير ١٨٢٠م.
(٦) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج٢٣، المرجع السابق، ص ١٨٩–١٩١.

الموريات وكربونات الصودا، وأحيانًا نجد أن موريات الصودا هو السائد[١] أما الأطرون فقد تعددت ألوانه، وكان أجودهم الأبيض بعد فصل الشوائب[٢].

ويتفق الكثير من الكتاب بأنه يوجد ببحيرات وادي النطرون ثلاثة أنواع من المواد الأولية للنطرون وهي:

- خور طاي «Khor Tai» وهو مادة صلصالية توجد في قاع البحيرات، وهو غني بكربونات الصودا ويوجد في كتل لينة شبه اسفنجية على هيئة بللورات ذات جوانب حادة وشكل إبري[٣].
- قورشف «Korshef» وهو مادة متبلورة توجد على شواطئ البحيرات وهذه المادة غير نقية وتختلف في لونها ولكنها غالبًا ما تشبه الحقل المحروث في شكلها العام[٤].
- سلطاني «Sultani» وهو مادة متبلورة توجد في قاع البحيرات، وهذه المادة كدرة للغاية[٥] وهذا النوع من أجود أنواع النطرون ويحتل المكانة الأولى في التجارة الدولية[٦].

وأحيانًا كان النطرون يصنف حسب المنطقة التي أتى منها على النحو التالي:

- النطرون «الطراني» وهو من أجود الأنواع، وكان يستخرج من الوادي، ويصدر من مركزه بالطرانة[٧].

---

(1) Forni, G: Viaggio nell Egitto e nell alto Nubia, Milano, vol I, 1859, P.P 512- 513.

(2) Wilkinson, J. G: Modern Egypt and Thebes, 2 Vol , London, 1873. P.P. 385-386.

(3) Ibid. P 387;

انظر الشكل رقم ٩؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص ٢١

(٤) مديرية البحيرة: س ١٠٣، ٧/ ١٣/ ١/ ٩٦، صادر دواوين البحيرة إلى محافظة الإسكندرية، وثيقة رقم ٣٣٩، ٣ شعبان ١٢٧٤هـ/ ١٩ مارس ١٨٥٨م، ص١٢، انظر الشكل رقم ٩.

(5) Forni, G: Op-cit, P. 513;

محمود على سيف: المرجع السابق، ص ٢٩٥

(٦) محافظ الأبحاث: محفظة ١٣٢، وثيقة رقم ١٠٠، ٥ شعبان ١٢٢٠هـ؛ مديرية البحيرة، س ١٠٣٦، وارد الأطرون، وثيقة ٦، ٨ شوال ١٢٨٥هـ/ ٨ يناير ١٨٦٩م، ص١٣٨.

(٧) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، وثيقة بدون رقم، ١٨ جماد الأول ١٢٩٢هـ/ ٢٢ يونيو ١٨٧٥م.

■ النطرون «البرنوجي» وهو خليط من النطرون القورشفي والسلطاني، وكان يستخرج من قرية البرنوجي بالقرب من الوادي[١].

■ النطرون «الكابي» وهو النطرون الذي يأتي من مدينة الكاب بجنوب مصر[٢].

كما كان يصنف حسب الألوان، فوجد منه النطرون الأبيض[٣] والأصفر والأخضر والأحمر[٤] والأسود[٥].

وترجع أهمية النطرون في أنه يدخل في استخدامات عديدة منذ العصور القديمة، لذا كان واسع الانتشار، فاستخدمه الفراعنة في التحنيط فلم يكن هناك بد من استخدام أملاح تقوم بتجفيف الجثة وحفظها من مهاجمة الفطريات، ويؤدي النطرون هذا الغرض ويتفوق على ملح الطعام العادي لقدرته على استيعاب المواد الدهنية وتخليص الجثة منها[٦] كما يستخدم في طقوس التطهير وخاصة تطهير الفحم، وعمل البخور، وفي الطب والطهي[٧]، ويستخدمه الخبازون في عمل الخبز بدلًا من الخميرة، وفي تبييض الخيوط الكتانية والملابس الداخلية[٨] كما

---

(١) مديرية البحيرة: س ١٠٣٦، وارد الفروع للمديرية، وثيقة ٥٠، ٢٦ جماد الأول ١٢٨٥هـ/ ٢٢ يوليو ١٨٧٣م، ص١٠٥.

(2) Lucas, Alfred: Op-cit, P. 263

(٣) نفسه: س ١، صادر المديرية إلى سايرة، وثيقة ٥٩، ٦ جماد الأول ١٢٦٠هـ/ ٢٤ مايو ١٨٤٤م، ص٦٠٣.

(٤) محافظ الأبحاث: محفظة ٥٨، دفتر ٥، معية سنية تركي، ترجمة الوثيقة رقم ٢٩، ٢٠ ربيع أول ١٢٣٥هـ/ ٧ يناير ١٨٢٠م؛ انظر: الشكل رقم ٩.

(٥) محافظ الذوات: محفظة ٤، من محمد علي إلى ناظر المهمات، وثيقة ١٢٧، ٥ شعبان ١٢٢٠هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٨٠٥.

(٦) محمد سميح عافية: التعدين في مصر قديمًا وحديثًا، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦، ص٩٤.

(7) Lucas, Alfred: Ancient Egyptian Materials,op. cit., P.P. 263-264.

(٨) زينب الغنام: المرجع السابق، ص ١٢٧؛ تأليف علماء الحملة الفرنسية، ٣٤، المرجع السابق، ج٢، ص ١٨٨.

يدخل في العديد من الصناعات، منها الزجاج والنحاس والمجوهرات ودبغ الجلود والصابون والورق[١] وصناعة المادة الملونة الزرقاء والخضراء، إذ إنه يمكن صنعها بإضافة مادة قلوية أو بدون إضافتها، على أن إضافتها تسهل صناعتها كثيرًا[٢] بالإضافة إلى صناعة كاربونات الصودا وسلفات الصودا وسلفات المانيزيا وسيسلات الصودا والجليسرين[٣].

التجارة الداخلية والخارجية للنطرون:

تعاظمت أهمية النطرون خلال فترة الدراسة، ولا سيما بعد نجاح تجارب استخدامه في مجالات صناعات عديدة، فزادات تجارته الداخلية والخارجية خلال ذات الفترة.

- التجارة الداخلية:

وصف أندريوسي في دراسته العلمية عن وادي النطرون تجارة النطرون في مصر فذكر قائلًا: «بعد أن أصبحت مصر مستعمرة فرنسية فسوف تعتمد على اعتبارين أساسيين الأول هو الاستغلال الحر للبحيرات، وسيصبح هذا الاستغلال في شكل أفضل،عن طريق إقامة حرس، واتخاذ إجراءات عسكرية، مثل إعادة استخدام وترميم القصر وشغل الأديرة القبطية، كما أن العربان في هذه الحالة – وأمرهم لا يخفي علينا– سيكونون أقل مدعاة للمخاوف. أما الاعتبار الثاني فهو اختيار وتنقية النطرون. كما ينبغي أن تقام المنشآت الخاصة بتنقية النطرون في أماكن أكثر قربًا من البحيرات مثل القصر والطرانة.

وواصل أندريوسي وصفه عن النطرون حيث ذكر أن الطرانة هي مستودع النطرون، وكانت المركز الرئيسي لتوزيع النطرون داخليًا وخارجيًا، فمنها كان يتم إرساله إلى بعض المدن المصرية مثل القاهرة الإسكندرية ورشيد[٤] ليتم توزيعه بالقطاعي على المصانع والفوريقات والمبايض

---

(١) محافظ الأبحاث: محفظة ٥٨، دفتر ٥، معية سنية تركي، وثيقة ٢٩، ٢٠ ربيع أول ١٢٣٥هـ/ ٧ يناير ١٨٢٠م.

(٢) محمود على سيف: المرجع السابق، ص٣١٢.

(٣) تأليف شركة الملح والصودا المصرية: المرجع السابق، ص٧.

(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج٢، المرجع السابق، ص ٥٠-٥٣.

ومطابع الورق والمدابغ وعلى تجار التجزئة ليتولوا تسويقه عن طريق بيعه للباعة الجائلين الذين كانوا يقومون بتعبئته في أكياس ورقية (قراطيس) لبيعه بالمدن والقرى[١].

وكان النطرون من أهم السلع التي ترسل من الطرانة إلى القاهرة، وقد نظمت عمليات توزيعه من خلال وكالة النطرون ببولاق، والتي كانت تقوم بتعبئته في أكياس تغلق بشكل محكم ويوضع عليها ختم بالشمع الأحمر ويكتب اسم الوكالة والصنف ومقدار الوزن والسعر، ويقيد بذلك بسجلات الوكالة أمام كل جهة مرسل إليها النطرون؛ لسهولة تحصيل الثمن ولضبط المتهرب منه[٢] بالإضافة إلى النطرون الذي كان يرسل مباشرة إلى المصالح الأميرية من مصانع وفوريقات[٣] ومدابغ ومطابع الورق[٤].

كما كانت الإسكندرية أهم مركز لتجارة النطرون داخليًّا لتعدد الفوريقات والمدابغ بها، بالإضافة إلى كثرة استخدامه في هذه المنطقة نظرًا لارتفاع كثافتها السكانية، وقد نظمت عمليات توزيع النطرون في الإسكندرية بواسطة متعهدين من ملتزمي النطرون بالطرانة، واشتهر منهم الخواجة جورجي وتودري[٥].

---

(١) مديرية البحيرة: س ١١٩، ج٥، صادر دواوين لسايرة، وثيقة ٤١٦، ١١ شوال ١٢٧٦هـ/ ٢ مايو ١٨٦٠م، ص ١١٩؛ نفسه س ٢٠٥، وثيقة ١٣٩، ١٩ من ذي القعدة ١٢٩١هـ/ ٢٨ ديسمبر ١٨٧٤م، ص٨١.

(٢) نفسه: س ١٠٠١، وارد الفروع من مصلحة الأطرون، وثيقة ٦٩، ٢٩ شوال ١٢٧٦هـ/ ٢٠ مايو ١٨٦٠م، ص ٦٢؛ مجلس النظار: قرارات ومنشورات، مطبعة بولاق، القاهرة ١٨٨٣، ص ١٧٨، انظر ملحق ٨،٩.

(٣) نفسه: س ٩٩٥، ٧/ ١٣/ ٣٨/ ١٤، وارد الفروع من وكيل مصلحة الأطرون بالطرانة، وثيقة ١٩، ٨ رجب ١٢٧٥هـ/ ١١ فبراير ١٨٥٩، ص ١، ١٢٨.

(٤) مديرية البحيرة: س ٦٤، صادر دواوين إلى مطبعة بولاق، وثيقة ١٣، ٢ ربيع الآخر ١٢٦٩هـ/ ١٣ يناير ١٨٥٣، ص٤١١.

(٥) نفسه: س ١، دفتر صادر مديرية البحيرة إلى الإسكندرية، وثيقة ٩٠، ٢٥ صفر ١٢٦١هـ/ ٥ مارس ١٨٤٥م، ص٥١٥.

ولعبت رشيد ودمياط دورًا مهمًّا في زيادة نشاط تجارة النطرون داخليًّا وزاد من ذلك إنشاء مصلحة النطرون فرعًا لها برشيد، وعينت المعلم تادرس موسى رئيسًا لها ليتولى متابعة مزادات النطرون واختيار الملتزمين، ومراقبة المتهرب منهم، وإنهاء إجراءات الجمارك في الصفقات الخارجية[١] كما صدرت أوامر إلى محافظ دمياط بتشجيع التجار وأصحاب المدابغ والفوريقات والأهالي على زيادة استخدامات النطرون لاستهلاك حصته المقررة من جانب الحكومة[٢].

وفي صعيد مصر كانت إسنا وأسيوط وجرجا من المراكز التجارية الهامة لتوزيع النطرون، حيث كان بعض تجار إسنا يرسلون المتلزمين بقوارب لحمل النطرون من مركزه بالطرانة لتوزيعه بالمدن والقرى الرئيسية للصعيد لكي يستخدم في تبييض الغسيل والأقمشة، وعمل الخبز[٣] وكذلك كانت مديرية أسيوط مركزًا هامًّا لتوزيع النطرون لأن أسواقها كثيرة ورائجة وهي محط رجال القوافل التي تفد من النوبة، فاشتهر على حسن بتوزيع النطرون الطراني للمديرية التي بلغت حصتها ٨٦٠ وزنة في مقابل التزامه بسداد مبلغ ٣٦١ جنيهًا[٤]، كذلك قام محمد صادق بتسويقه بجرجا مقابل التزامه بدفع ٢٥١ جنيهًا للحكومة سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م[٥].

كذلك اشتهر إقليم مصر الوسطى بتجارة النطرون الطراني، فكانت مديرية بنى سيوف هي المركز الرئيسي بالإقليم الذي يقوم بإمداد مديريتي الفيوم والمينا بالنطرون، والتزم كل من محمد عبد الواحد وحسن رضوان ومصطفي الشمي بتوزيعه بالإقليم[٦].

---

(١) محافظ رشيد: س ١٧٢، ١٤/ ٣/ ٤، صادر إلى أسكلة رشيد وثيقة ٥١٧، ٢٦ شعبان ١٢٦٤هـ، ص٧٨؛ نفسه: وثيقة ٥٣٥، ١١ رمضان ١٢٦٤هـ/ ١١ أغسطس ١٨٤٨م، ص ٩٨.

(٢) محافظ الأبحاث: محفظة ١٣٩، وثيقة بدون رقم، ٢٠ ربيع أول ١٢٣٥هـ/ ٦ يناير ١٨٢٠م.

(٣) نفسه: س ٩٩٥، ٧/ ١٣/ ٣٨/ ١٤، وارد الفروع من وكيل مصلحة الأطرون بالطرانة، وثيقة ٢٣، ٤ رمضان ١٢٧٥هـ/ ١٧ إبريل ١٨٥٩، ص١٢٨.

(٤) نفسه: س ٢١٦، صادر دواوين للمالية، وثيقة ٥٠٩، ١٢ شوال ١٢٩٣هـ/ ١ نوفمبر ١٨٧٦م، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٥) نفسه: صادر دواوين مديرية جرجا، وثيقة ٢٨ بتاريخ، ٢٨ رمضان ١٢٩٣هـ/ ٧ أكتوبر ١٨٧٦م، ص١٤٩.

(٦) نفسه: س ١٠٠١، وارد الفروع من مصلحة الأطرون بالطرانة، وثيقة ٧٤، ٣ من ذي القعدة ١٢٧٦هـ/ ٢٤ مايو ١٨٦٠م، ص ٦٢.

كما كانت المنوفية مركزًا لتجارة النطرون في وسط الدلتا، فمنها كان يتم توزيعه إلى مديريتي الشرقية والغربية، وساعد على ذلك تعدد المدابغ والفوريقات وكثرة استهلاك الأهالي لازدحام الإقليم بالسكان[١].

وقد أدى تعدد مراكز وقرى مديرية البحيرة إلى كثرة استهلاك نطرون الوادي محليًّا؛ ويرجع ذلك إلى وجود العديد من المدابغ لكثرة الثروة الحيوانية بها[٢] بالإضافة إلى الفوريقات مثل فوريقة الطرابيش بدمنهور[٣] ومبايض الغزل والنسيج مثل مبيضة النجيلة[٤] ومصنع الزجاج بكفر الدوار[٥] وكذلك كثرة استخدامات الأهالي ورهبان أديرة الوادي في تبييض الملابس وعمل البخور[٦].

ب- التجارة الخارجية

لعبت التجارة الخارجية لمادة النطرون دورًا أساسيًّا في الحياة الاقتصادية لوادي النطرون خلال فترة الدراسة، بعد أن زادت أهميته وبعد نجاح الأوروبيين في إدخاله في العديد من

---

(١) نفسه: س ٢١٦، صادر دواوين إلى المنوفية، وثيقة ١٦٨، ٢٦ رمضان ١٢٩٣هـ/ ١٥ أكتوبر ١٨٧٦م، ص ١٢٦.

(٢)محافظ الأبحاث: س ١٠٣٤، وارد من مصلحة الأطرون، وثيقة ٦٧، ١٣ جماد الثاني ١٢٨٥هـ/ ١٢ أكتوبر ١٨٦٨م، ص ١٤٧.

(٣) نفسه: س ١١٦٥، قيد القرارات الصادرة والواردة، وثيقة ٧٨، ٢ جماد الثاني ١٢٦٣هـ/ ١٨ مايو ١٨٤٧م، ص١٢؛ نفسه: س ١٠٠١، وثيقة ٧٢، ٢٩ شوال ١٢٧٥هـ/ ٢ يونيو ١٨٥٩، ص ٦٢؛ وثائق دير السريان، وثيقة رقم ٧٠٧، جمادى الآخرة ١٢٣٦هـ/ إبريل ١٨٢١م.

(٤) محكمة البحيرة الشرعية: س ٢٨، مادة ٣٠٧، ١٠ جماد الأأول ١٢١٧هـ/ ٨ سبتمبر ١٨٠٢م، ص ١٧٣؛ ديوان شورى المعاونة، محفظة ٢٢، مخلصات دفاتر، دفتر ٢٨٦، مكاتبة رقم ٣٣٦٦، ١٢ رمضان ١٢٥٨هـ/ ١٧ أكتوبر ١٨٤٢م، بدون صفحة.

(٥) نفسه: محفظة ٣٧، ملخصات دفاتر، دفتر ٣٤ عابدين وارد تلغرافات، تلغراف رقم ١٣١٩، ٢٥ شوال ١٢٥٧هـ/ ١٠ ديسمبر ١٨٤١، ص٢٥.

(٦) وثائق دير السريان: وثيقة ١٥٤٧، ذو القعدة ١٢٣٦هـ/ يوليو ١٨٢٠م.

الصناعات كصناعة البارود وحفظ اللحوم وتبييض الكتان الخام، وعرف نتيجة لذلك كسلعة اقتصادية مهمة اشتد الطلب عليها من دول شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وتركيا وبعض الدول الأوروبية، وأصبح مصدرًا مهمًّا للخزينة المصرية[١].

وقدم لنا أندريوسي وصفًا لتجارة النطرون حيث ذكر قائلًا: «تعتمد تجارة النطرون على حالته بالمثل على تحليلات لم نكن في وضع يسمح لنا بالقيام بها، وعلى نوع من النشاط والاهتمام لا يمكن لنا الاضطلاع به، في بلاد ظلت فيه مكاسب الصناعة فريسة لمغارم الحكام ومظالمهم. وقد يترك المستغلون في النطرون خليطًا من مختلف الأملاح مع الصودا، وبالذات الملح البحري، الذي يؤدي وجوده إلى زيادة مجحفة في وزن النقلة. ومن جهة أخرى يشكو صناع مارسيليا في أنهم يعانون أضرارًا حقيقية وكبيرة، وعلى الرغم من ذلك شهدت سنوات ١٧٨٨م، ١٧٨٩م، ١٧٩٠م رواجًا كبير، عندما أمكن لتجار مرسيليا عقد صفقات تجارية جديدة، فإنهم استوردوا إلى فرنسا كميات هائلة من النطرون، خزنوا جزءًا كبيرًا منها في محلاتهم لمواجهة العجز عند تعسر تصديره من مصر»[٢].

على أية حال، فبعد أن سيطر محمد علي على الحجاز وما حوله من بلدان شبه الجزيرة العربية، زادت التجارة الخارجية للنطرون، وخاصة بعد حصوله على موافقة السلطان العثماني بتبادله مع تجار المنطقة مقابل البن وبعض بضائع من الهند، ليتمكن من إزاحة التجار الأجانب من أمامه لاحتكار تجارة البن[٣]، ويضمن ترويج النطرون في بلدان الجزيرة العربية[٤].

---

(١) مديرية البحيرة: س ١١٩، ج٥، صادر دواوين لسايرة، وثيقة ٤١٦، ١١ شوال ١٢٧٦هـ/ ٢ مايو ١٨٦٠، ص١١٩؛

Sonini, G. S: Travels in upper and Lower Egypt, London 1800, P.P. 200-203.

(٢) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج٢، المرجع السابق، ص٥١- ٥٢.

(٣) لمزيد من التفصيل عن تجارة البن عبر البحر الأحمر مع مصر انظر:

El. Batrik, Abdel Hamid: Egyptian Yemani Relation (1819-1870) and their Implications for British policy in the Red sea «In» ,Political and Social Change in Modern Egypt, London 1968. P. 88.

(٤) ديوان معية سنية تركي: محفظة ٢٩، دفتر ٧، إلى حضرة الأفندي كتخدا، وثيقة رقم ٥٧، ١١ شوال ١٢٣٦هـ/ ١٢ يوليو ١٨٢٠م، ص١١٢.

كما لعبت بلاد الشام دورًا تجاريًّا في تسويق النطرون، خاصة بعد نجاح صناعة الصابون بها واعتمادها عليه؛ لتفادي الاستيراد الخارجي من مصر نتيجة لارتفاع رسوم الجمارك التي تفرض عليها بجمركي بولاق والإسكندرية، وربما كان ذلك الدافع وراء لجوء التجار الشوام إلى استيراده من مصر لإدخاله في هذه الصناعة، أو مبادلته بالأقمشة الحريرية التي تشتهر بها بلاد الشام(١).

كذلك كانت تركيا من أكبر المناطق استهلاكًا للنطرون بشتى أنواعه، ويرجع ذلك إلى وجود العديد من الصناعات بها كصناعة الزجاج التي اشتهرت بها والتي اعتمدت كلية على النطرون المختلط بالرمال، بالإضافة إلى صناعة الصابون وتبييض الأقمشة مما زاد من استهلاكه(٢).

ومن الجدير بالذكر أن مصر فرضت عليها حصة من النطرون ترسلها سنويًّا بحكم التبعية للدولة العثمانية، وعند تأخرها كان السلطان يتدخل بنفسه، مثلما قام السلطان محمود بن عبد الحميد خان بإصدار أوامره في سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٧م لوالي مصر بسرعة إرساله النطرون(٣) فضلًا عما يجلبه التجار الأتراك من مصر، حتى لا تتعطل مصانع الزجاج والصابون(٤).

وذكر أندريوسي تزايد الطلب على النطرون في أوروبا بعد نجاح تجارب إدخاله في العديد من الصناعات(٥)، فتصارعت مجموعة من الدول ومنهم فرنسا وإيطاليا وإنجلترا للحصول

---

(١) ديوان التجارة والمبيعات: س ٥٢٩٥ج١، وارد قيد التحريرات الواردة، وثيقة ٢٠، ٢٧ ذي القعدة ١٢٦٧هـ/ ٣ سبتمبر ١٨٥١م، ص ٢٣، لمزيد من التفصيل انظر: عبد الله محمد عزباوي، الشوام في مصر في القرنين الثامن والتاسع عشر، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٦، ص ٩٥-٩٨.

(٢) محافظ الأبحاث: محفظة ٣٧، وثيقة ٦٦٣، ١٥ شوال ١٢٥٢هـ/ ٢٣ يناير ١٨٣٧م؛
Sonini, G. S: Op. Cit. P. P. 201-209.

(٣) سجلات البراءات والفرمانات السلطانية (ديوان بلاط جلالة الملك): س رقم ٦٩١، س ٩/ ٨/ ٢/ ج٢، فرمان رقم ١٢٩، ٤ شوال ١٢٤٢هـ/ أول مايو ١٨٢٧؛ راجع: ملحق رقم (٨).

(٤) مجلس تجار إسكندرية: س ١٧٠٩، صادر إلى مذكورين سايرة، وثيقة ١٣٧، ٩ رمضان ١٢٧٤هـ/ ١٢٣ إبريل ١٨٥٨، ص ٦٧.

(٥) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج٢، المرجع السابق، ص٥١- ٥٢.

عليه، فأمكن لتجار مارسيليا عقد صفقاته واستيراد كميات هائلة منه إلى فرنسا وتخزينه في مخازن مخصصة له لمواجهة العجز عند تعسر تصديره من مصر[١] كما نجح تجار البندقية في إدخاله إلى إيطاليا خامًا وإجراء تكريره بها لفصل الشوائب عنه وتصفيته وتصديره منها إلى دول وسط أوروبا بأسعار مرتفعة[٢]، وتمكن تجار لجهورن بإنجلترا في عقد العديد من صفقاته لاستخدامه في مبايض الغزل والنسيج[٣] فتمكن فيلي لبرنور من الحصول على موافقة الحكومة المصرية في شراء خمسين ألف أقة نطرون سنة ١٨٨٣م[٤].

كذلك تعتبر النمسا من أكبر الأسواق الأوروبية استهلاكًا للنطرون المصدر من مصر، لدرجة أن الأخ الأكبر لإمبراطور النمسا حضر في سنة ١٨٥٥م أقام حفلًا على شرف إنهاء إحدى الصفقات لصالح بلاده[٥]، كما استطاع الجنرال فونستلوشي من التدخل لإنهاء إحدى الأزمات التي حدثت بين تجار نطرون النمسا وملتزميه بالطرانة من أجل تسهيل تصديره حتى لا تتوقف الصناعات القائمة عليه[٦] فضلًا عن تدخل قنصل النمسا والمجر بمصر لتسوية النزاع الذي حدث بين الخواجة فلكس جبارة أحد مصدري النطرون لبلاده وحسنين حمزة

---

(١) ديوان التجارة والمبيعات: س ٥٢٩٩، ج١، وارد قيد القرارات، وثيقة ٢١٤، ٢٣ جمادى الأولى ١٢٦٩هـ/ ٤ أغسطس ١٨٥٣م، ص١٦٨؛ Sonini, G. S: op. cit. P P. 2-9.

(٢) ديوان خديوي تركي: محفظة ٣٧، دفتر ٧٤٧، وثيقة ٢٦٨، ١٠ جمادى الأولى ١٢٤٤هـ/ ١٨ نوفمبر ١٨٢٨م، ص٩٢؛ محكمة الإسكندرية: س ٤ إشهادات، مادة ١٧٤، ١٠ شوال ١٢٨٢هـ/ ٢٦ فبراير ١٨٦٦، ص ٦٩؛ Brawne. W. G: op. cit. P. 39.

(٣) ديوان التجارة والمبيعات: س ٥٢٩٥، ج١، وارد قيد القرارات، وثيقة ١٣، ١٦ شوال ١٢٦٨هـ/ ١٣ أغسطس ١٨٥٢م، ص٤٠.

(٤) مجلس النظار: فهرست المنشورات والقرارات سنة ١٨٨٣، مطبعة بولاق، القاهرة ١٨٨٣م، ص١٧٩.

(٥) إدارة المحليات: محفظة ٤، تفتيش بحري، ملف ٨، وثيقة ٣٢٢، ١٦ شوال ١٢٧١هـ/ أول يوليو ١٨٥٥م.

(٦) مديرية البحيرة: س ١١٩ج٥، صادر الدواوين للمعية السنية، مادة ٢٥، ٢٦ شوال ١٢٧٦هـ/ ١٧ مايو ١٨٦٠، ص١١٤.

ملتزم النطرون بالطرانة[1] من أجل الإسراع باستكمال باقي الصفقة التي بلغ مقدارها نحو ٩٠ ألف وزنة نطرون والتي قدرت بنحو ١٩ ألف جنيه سنة ١٨٧٥[2].

على أية حال، فقد وصلت صادرات مصر من النطرون في الفترة من (١٨٦٦- ١٨٧٥م) إلى حوالي ١٦,٤٨٥,٢٩٦ أقة، ارتفعت من ١,٦٨٤,١٩ أقة في سنة ١٨٦٦م إلى ٢,١٧٧,٤٤٠ أقة في سنة ١٨٧٥، وكانت إيطاليا والنمسا السوق الرئيسة لهذا الصنف، فكان يصدر إليهما عن طريق الإسكندرية سنويًّا حوالي ٣٠,٠٠٠ Peres من النطرون[3].

وفي عصر شركة الملح والصودا (١٨٩٩- ١٩٤٧) زادت كميات الإنتاج من النطرون واتسع حجم الصادرات إلى الدول الأوروبية، وإن كان ذلك يرجع إلى الأسباب الآتية:

- تنظيم العمالة.
- استخدام الآلات الحديثة في استخراجه.
- قلة الفاقد.
- دقة تكريره بفصل الشوائب عنه.
- قرب مصنع شركة الصودا من مناطق استخراجه.
- سهولة نقله من الوادي إلى الخطاطبة عبر سكة حديد الدلتا ومنها إلى الخارج بواسطة السفن النهرية منه والبحرية[4].

والجدول التالي يوضح كمية الصادرات منه إلى أوروبا في سنتي ١٩١٠/ ١٩١١م:

---

(١) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، صادر المجلس الخصوصي إلى مديرية البحيرة، ١٨ جماد الآخر ١٢٩٢هـ/ ٢١ مايو ١٨٧٥م.

(٢) نفسه: وثيقة بدون رقم، ٢١ جمادى الآخرة ١٢٩٢هـ/ ٢٤ يوليو ١٨٧٥م.

(٣) أحمد الشربيني: المرجع السابق، ص ٣٣١؛ MC. Coon, J. C: op. cit. P. 168.

(٤) تأليف شركة الملح والصودا: المرجع السابق، ص ٤-١٢، انظر الشكل رقم ٤.

جدول (٢/ ٤)[١]

النوع	بالطن		القيمة بالجنيهات	
السنة	١٩١٠	١٩١١	١٩١٠	١٩١١
الصودا الكاوية	١٢٥١	١٢٠٧	١٠٠٥٣	٩٦٦٠
النطرون	٩٠٢	٧٥٢	١٨٢٠	١٥٠٤

يتضح من الجدول السابق حجم الصادرات الخارجية من الصودا الكاوية ومادة النطرون خلال عامي ١٩١٠/ ١٩١١ بخلاف ما كانت تستهلكه شركة الملح والصودا، فضلًا عما كان يباع داخليًّا من أجل الاستهلاك المحلي.

وبجانب النطرون استخرج ملح الطعام الذي يستهلك في الأغراض المنزلية والصناعية والذي زاد إنتاجه من ١٢٤ ألف طن عام ١٨٨٦ إلى ١٥٠ ألف طن عام ١٩٠١[٢].

مشكلات وقضايا النطرون:

من المشكلات والمخالفات التي كشفت عنها الوثائق عدم توفر العاملين لاستخراج النطرون واستغلال صغار السن لسد العجز، ومثال ذلك معاونة أهالي الأخماس وأبي نشابة والطرانة من توفير العدد المفروض عليهم، نظرًا لتسحب بعضهم من قراهم[٣]، فكان يستكمل العدد المطلوب بصغار السن مما يعرضهم للأمراض والأوبئة والموت أحيانًا لعدم قدرتهم على استخدام آلات ومعدات هذا العمل الشاق، ويؤدي ذلك إلى تعطل عملية استخراج النطرون[٤].

---

(١) المصدر: محمود على سيف: المرجع السابق، ص٣١٢.

(2) Issawi, Charles: The Economic History of the Middle East (1800-1917) The university of Chicago Press 1966. P.P. 443- 444.

(٣) مديرية البحيرة: س ٨٩٠، وارد المديرية من قسم النجيلة، وثيقة ١٨٢، ١٢ ربيع أول ١٢٧٤هـ/ أول نوفمبر ١٨٥٧م، ص ١١٠.

(٤) نفسه: س ١٠٠١، وارد الفروع من وكيل مصلحة الأطرون، وثيقة ٩١، ٨ محرم ١٢٧٧هـ/ ١٧ يونيو ١٨٦٠م، ص١٣٨.

كما تعرضت بحيرات النطرون لاعتداءات العربان نظرًا لموقعها بالوادي، وخير مثال على ذلك ما قام به مجموعة من عربان المغازة والنعام بالوجه القبلي من الاعتداء على بحيرات النطرون وتحميلهم اثني عشر جملًا بالنطرون، وتمكن خفراء الحراسة من ضبطهم وتحويلهم إلى وكيل مصلحة النطرون بالطرانة لإرسالهم إلى المديرية، وتمثلت عقوبة الاعتداء طبقًا للبند السابع من شروط التعاقد بين الملتزمين والحكومة في استيلاء المصلحة على الجمال، أما المرتكبون فكان يتم مجازاتهم بالخدمة بالجيش لمدة عام إذ كانوا من أرباب السوابق[١].

ومن المشكلات التي واجهت استخراج النطرون ونقله التعدي على خفراء حراسة بحيراته وقوافله، ومثال ذلك ما قام به مجموعة من عربان الحرابي والفوايد والجوازي بالاعتداء على خلجان النطرون والاستيلاء على الآلات وأدوات استخراجه وتكريره، بالإضافة إلى نهبه ونهب الجمال وإصابة أحد الخفراء بالرصاص[٢]، كما قامت مجموعة من عربان أولاد علي بالتعدي على بحيراته وسرقة النطرون والجمال والأبقار التي تملكها مصلحة النطرون بالوادي بالإضافة إلى إصابة على موسى وقتل سليمان أبو زيد من رجال الحراسة[٣].

كما تعرض رجال الحراسة لتحقيقات ووجهت لهم تهمة الإهمال في تأدية مهام وظائفهم، ومثال ذلك ما قامت مجموعة من لصوص القليوبية من سرقة النطرون وأدوات استخراجه بالوادي، وهروبهم وعدم تمكن الخفراء من الإمساك بهم وقد وجهت لهم تهمة التآمر معهم والإهمال في تأدية مهمتهم، وكانت العقوبة في مثل هذه الحالة سداد مقدار المسروقات بعد تقديرها، والطرد من الوظيفة[٤].

---

(١) نفسه: س ١٠٣، صادر دواوين الداخلية، وثيقة ١٤٠، ٢٢ شعبان ١٢٧٤هـ/ ١٧ إبريل ١٨٥٨م، ص ٩٦.

(٢) نفسه: س ١، ل/ ١٣/ ١/ ١، ج٥، صادر المديرية إلى الجمعية الحقانية، وثيقة ١٠١، ٢٤ محرم ١٢٦١هـ/ ٣ فبراير ١٨٤٥م، ص ٦٣٨.

(٣) نفسه: س ٢٠٥، صادر دواوين إلى سايرة، وثيقة ١١، ٢٢ من ذي العقدة ١٢٩١هـ/ ٣١ ديسمبر ١٨٧٤م.

(٤) نفسه: س ٤٧١، وثيقة ٦٦٦، ٢٤ جماد الثاني ١٢٨٨هـ/ ١٠ سبتمبر ١٨٧١، ص ١٦١.

ومن القضايا التي وقفت عائقًا أمام تجارة النطرون -ذلك الذي عرف باسم النطرون البراني- تهريبه وترويجه بأسعار أقل في السوق المصرية مما دفع الدولة إلى محاربة أصحابه، مثلما قامت بضبط محمد عبد الواحد وحسن رضوان ببني سويف[١] وعلي محمد وأحمد أبو زيد بالحيرة[٢] وإبراهيم مقلد ببنها[٣] وآخرين بالقليوبية، وكانت العقوبة في مثل هذه الحالات السجن من سنة إلى ثلاث سنوات[٤].

كذلك من مشكلاته خلطه بالرمال وعدم تكريره بصورة جيدة والتلاعب في تصنيفه مما أوجد القضايا بين التجار وملتزميه، مثلما حدث ما بين الخواجة فلكس جبارة مستورد النطرون لإمبراطورية النمسا والمجر وحسنين حمزة أحد ملتزميه بالطرانة وكاد يتسبب في إلغاء صفقة بلغ مقدارها ٩٠ ألف وزنة نطرون[٥].

أضف إلى ذلك ما كان يقوم به قبانية النطرون من التلاعب في الأوزان مستغلين انتشار الأمية بين بعض التجار، كما حدث من اتهام عبد الغني إسماعيل ومحجوب عبد الله بمصلحة النطرون بالطرانة[٦] وقد كانت عقوبة المخالفة في الأوزان بالإهمال تتراوح بين الجلد ١٠، ٢٥، ٥٠ سوطًا عام ١٨٣٥م[٧] ثم آل الأمر إلى أن استبدل به الحكم على القباني بسداد العجز والطرد كما صدر ضد إسماعيل سليمان[٨].

---

(١) نفسه: س ١٠٠١، وارد الفروع من مصلحة الأطرون، وثيقة ٧٠، ٢٩ شوال ١٢٧٦هـ/ ٢٠ مايو ١٨٦٠م، ص ٦٢

(٢) نفسه: س ١٠٣٥، وارد من قسم النجيلة، وثيقة ١٦٨٧، ٢١ جماد الثاني ١٢٨٥هـ/ ١٩ أكتوبر ١٨٦٨م، ص١٣٧.

(٣) نفسه: س ١٠٣، صادر إلى مديرية القليوبية، وثيقة ٨٥، ٤ ذي القعدة ١٢٧٤هـ/ ، ص ٩٤.

(٤) مديرية القليوبية: س ٨٨، صادر إلى مديرية البحيرة، وثيقة ٣٢، غرة رجب ١٢٧٧هـ/ ١٢ فبراير ١٨٦١م، ص ٢٦٠.

(٥) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، صادر من المجلس إلى مديرية البحيرة، وثيقة بدون رقم، ١٩ جماد الآخر ١٢٩٢هـ/ ٢٢ مايو ١٨٧٥.

(٦) مجلس ملكية تركي: محفظة ٢، وثيقة ٢٢٧، ٢١ جمادى الأولى ١٢٥١هـ/ ١٤ سبتمبر ١٨٣٥م.

(٧) مجلس ألأحكام: س ٧/ ٩/ ٨ دفتر العرضحالات، مضبطة رقم ٦، ٢٦ رمضان ١٢٧٩هـ/ ١٦ مارس ١٨٦٣م، ص ٢٨.

(٨) مديرية البحيرة: س ٢٢٩، صادر دواوين لضبطية مصر، وثيقة ٣٩، ١٤ جماد الأول ١٢٩٥هـ/ ١٦ مايو ١٨٧٨م، ص ١٧٣.

ولم تنج عملية نقل النطرون بالطرق المائية من مركزه بالطرانة من مخالفات المراكبية وترتب عليها الجزاء ردعًا للمخالف وإقرارًا للضبط والربط، فكان من مشكلاتها تعرض المراكب أو ذويها للغرق أو السرقة أو اتهامهم بها والحريق والعجز وتراكم الديون، فقد غرقت حمولة المراكبي محمد السقا أثناء نقلها النطرون إلى رشيد[١] كما تعرضت الشحنة المتجهة إلى أسيوط بقيادة الريس حسين علي للعجز[٢]، وكذلك تعرضت الشحنة المتجهة إلى الإسكندرية بصحبة الريس أحمد سليمان للتلف[٣] وتناقصت شحنة مراكبية المنوفية المتجهة إلى رشيد[٤] وكان العقاب في تلك الحالات سداد قيمة ما ارتكب من خطأ ماديًّا مما عرضهم للديون وعرقلة نقل النطرون وتعطل تجارته[٥].

وكان من المخالفات كثرة تظلم العاملين على إنتاج ونقل النطرون من مشكلات الأجور، فيذكر أن عربان الجوابيص والجميعات قاموا بتهديد أحد الملتزمين بالتوقف عن نقله من الوادي إلى الطرانة إلا بعد سداد قيمة الأجور السابقة[٦] كذلك كانت أجرة العاملين بتكرير النطرون ضئيلة، حيث لم تكن تتعدى خمسون قرشًا شهريًّا[٧] كما طالب المراكبية الملتزمين

(١) نفسه: س ٨٢٥، صادر ووارد إلى حضرة محافظ رشيد، وثيقة ٩٥، ١٣ شعبان ١٢٦١هـ/ ١٧ أغسطس ١٨٤٥م، ص ٣١٠.

(٢) نفسه: س ٢٠٥، صادر الدواوين للمنيا وبنى مزار، وثيقة ١٦، ١٣ ذي القعدة ١٢٩١هـ/ ٢ ديسمبر ١٨٧٤م، ص١٠١.

(٣) ديوان شورى المعاونة: محفظة ٣٠، ملخصات دفاتر، دفتر ٢٧، معية تركية، ملخص الوثيقة التركية رقم ٥٩٣، ١٨ جماد الأول ١٢١٢هـ/ ١٨ ديسمبر ١٨٢٦م.

(٤) مديرية البحيرة: س ٢١٦، صادر الدواوين للمنوفية، وثيقة ١٦٩، ٢٨ رمضان ١٢٩٠هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨٧٣، ص١٢٦.

(٥) ديوان التجارة والمبيعات: س ٥٣٠٨، دفتر قيد الصادر، وثيقة رقم ٤٢٩، ٥ جمادى الأولى ١٢٦٩هـ/ ١٤ فبراير ١٨٥٢م، ص ٤٩٥.

(٦) مديرية البحيرة: س ١٠٨٧، ج١، وارد العرضحالات، وثيقة ٢٠، ٢٥ ذى القعدة ١٢٧٤هـ/ ٧ يوليو ١٨٥٨م، ص١٢.

(٧) نفسه: س ١٠٣، صادر الدواوين للمعية السنية، وثيقة ٧٣، ١٧ شعبان ١٢٧٤هـ/ ٣ إبريل ١٨٥٨م.

بأجورهم المتأخرة عليهم[1]، تلك المشكلات والقضايا سالفة الذكر من المنغصات التي كانت تعرقل إنتاج وتجارة النطرون خلال فترة الدراسة.

التبادل التجاري بين وادي النطرون والأقاليم الأخرى:

لعب التبادل التجاري في وادي النطرون خلال فترة الدراسة دورًا هامًا في ربط المدن الكبرى بالدلتا والصعيد بالوادي، عن طريق الاتجار معها واحتفاظ القاهرة بنصيب كبير من حجم المبيعات التي خرجت منه، كما كانت هناك سلع تصدر إلى الخارج، واعتمد الوادي بشكل أساسي على سد حاجاته من سلع وخامات وخدمات على الأقاليم المجاورة له، حيث كانت منتجات الوادي من الثروة الحيوانية (المواشي والخيول والجمال والحمير) من أهم السلع التي تُباع إلى الأقاليم الأخرى وإلى القاهرة على وجه الخصوص، فكان لخبرة عربان الوادي بتربية الخيول والجمال دافع وراء اعتماد الدولة عليهم في إمدادها بالأعداد اللازمة[2] كما وجد إقبال كبير على حمير الوادي ذات الألوان المتعددة بسوقها بالقاهرة[3]، كذلك كانت منتجات الألبان (السمن والقشطة والجبن) من أهم السلع التي تباع بوكالة السمن ببولاق[4] واعتمدت مصانع الجلود والأصواف بالقاهرة على خامات الوادي[5] بالإضافة إلى الملح والنطرون الذي احتل الجانب الأكبر من صادرات الوادي إلى القاهرة على نحو ما رأينا[6].

---

(١) نفسه: س ٢١٦، صادر دواوين إلى المنوفية، وثيقة ١٧٠، ٢٨ رمضان ١٢٩٣هـ/ ١٧ أكتوبر ١٨٧٦م، ص ١٢٦.

(٢) نفسه: س ٨٥٠، وارد عموم المالية إلى مديرية البحيرة، وثيقة رقم ٧٠٦، ١٨ شوال ١٢٦٦هـ/ ٩ سبتمبر ١٨٥٠م، ص ٣١٦.

(٣) محكمة مصر الشرعية: س٤١، مادة ٢١٧، ٥ شوال ١٢٨٠هـ/ ٢٤ مارس١٨٦٤م، ص١٣٢؛ ديوان المجلس الخصوصي، س ١١/ ٨/ ١، القرارات واللوائح الصادرة، وثيقة ٢١، ٢١ ذى القعدة ١٢٧٥هـ/ ٢١ يونيو ١٨٥٩.

(٤) ديوان التجارة والمبيعات: س ٥٢٩٤ج١، قيد القرارات الواردة، وثيقة رقم ١١، غرة ذي القعدة ١٢٦٥هـ/ ١٨ سبتمبر ١٨٤٩.

(٥) محافظ سيادية: مجلس الملكية؛ محفظة ١، وثيقة ٤، ٢٧ محرم ١٢٥٠هـ/ ٦ يونيو ١٨٣٤م.

(٦) مجلس الأحكام: س ٧/ ٦/ ٣٧، صادر الأقاليم البحرية، وثيقة ٥، ٢٢ شعبان ١٢٨٥هـ/ ٩ ديسمبر ١٨٦٨م، ص١٦.

كما ذهب أغلب الإنتاج الزراعي من الوادي إلى القاهرة، حيث كان يورد إليها الخضراوات الطازجة التي استخدمت في الطهي مثل البامية والقلقاس والزيتون، والفاكهة مثل التين والخوخ، ومختلف أنواع الحبوب من القمح والشعير والذرة والحمص والسمسم والقرطم بالإضافة إلى التبن اللازم لغذاء الحيوانات[١] كما كان لمنتجات تربية النحل من عسل وشمع سوق رائجة بالقاهرة[٢].

وكانت منتجات الوادي من البوص والحلف والسمار من أهم السلع التي تقوم عليها صناعة الحصير بالمنوفية، حيث كانت الطرانة والأخماس وأبا نشابة على الجانب الغربي لفرع رشيد من أهم المراكز لتجميع هذه المنتجات بواسطة عربان الحرابي[٣]، بينما تولى عربان الجوابي نقلها إلى الجانب الشرقي من نفس الفرع حيث تجمع في قرى هناك ويقوم تجار وصناع المنوفية بجلبها من هناك[٤]، بالإضافة إلى بعض المنتجات الزراعية التي ذهبت إلى إقليم المنوفية لسد احتياجاتها ومن أهمها القمح والقرطم والسمسم، الذي لم يكن كافيًا لسد احتياجات معاصر السيرج المنتشرة بها[٥].

كما أمد الوادي وسط الدلتا وعلى وجه الخصوص المنوفية بالنطرون الذي كان يجلب إليها بواسطة تجار متخصصين يذهبون إلى الطرانة لشرائه وإحضاره ليباع إلى مبايض الغزل والنسيج وللأهالى لتبييض الأقمشة[٦] بالإضافة إلى ملح الطعام[٧].

---

(١) مديرية البحيرة: س ١٠٤٠، وارد الفروع من قسم النجيلة، وثيقة ١٣٢، ٢ جماد الثاني ١٢٨٦هـ/ ٩ سبتمبر ١٨٦٩م، ص١٣٦.

(٢) نفسه: س ٢٥٨، صادر الفروع إلى ناظر أشوان النجيلة، وثيقة ٧٧، ١٩ شوال ١٢٦٦هـ/ ٢٨ أغسطس ١٨٤٩م.

(٣) نفسه: س ١، صادر مديرية البحيرة إلى الجمعية الحقانية، وثيقة ١٠١،٢٤ محرم ١٢٦١هـ/ ٢ فبراير ١٨٤٥م، ص٦٣٨.

(٤) نفسه: س ٣٢٥، صادر الفروع لشون النجيلة، وثيقة ١٠٣، ٢٢ رمضان ١٢٧٠هـ/ ١٨ يونيو ١٨٥٤م، ص٣٢.

(٥) ديوان خديوي تركي: ملخصات دفاتر، دفتر ٧٦٤، وثيقة ٤٧٢، ٩ صفر ١٢٤٦هـ/ ٣٠ يوليو ١٨٣٠م، ص١٧٦.

(٦) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٩٣٦، ٩ محرم ١٢٣٩هـ/ ١٥ سبتمبر ١٨٢٣هـ.

(٧) مديرية البحيرة: س ١٠٤٠، ج٥، وارد الفروع عن قسم النجيلة، مادة ١١٩٦، ٢٤ ربيع الثاني ١٢٨٦هـ/ ٤ أغسطس ١٨٦٩م. ص٢٥.

كما كان لعدم اعتماد الإسكندرية – بوصفها مدينة ساحلية على البحر المتوسط– على موقعها الجغرافي، دافع وراء اعتمادها على جيرانها، فكان لوادي النطرون دور رئيسي في إمدادها بالثروة الحيوانية والزراعية والمعدنية فاحتلت منتجات الثورة الحيوانية من الألبان والقشطة والسمن والعسل والشمع والجلود والأصواف مكانة أساسية في أسواقها، فضلًا عن المواشي والجمال والخيول والحمير(١)، كما ذهب إليها أغلب الإنتاج الزراعي من قمح وذرة وشعير وسمسم وحمص وقرطم ونيلة(٢)، بالإضافة إلى ملح النطرون للاستهلاك المحلي والتصدير للخارج(٣).

كذلك اعتمدت سيوة على بعض منتجات الوادي لسد العجز من قمح وسمسم ودخان(٤) فضلًا عن الأقمشة الكتانية والقطنية والخيش والبرادع المصنعة بالوادي(٥) كما ذهب إليها النطرون والصابون لتبييض الملابس بالإضافة إلى بعض أدوات الحدادة والصناعات الزجاجية(٦).

ولم تقتصر صادرات الوادي على جيرانها فقط، وإنما صدرت كميات كبيرة من إنتاجها إلى صعيد مصر من السمسم والحمص والعسل الأبيض والدخان والنطرون والصابون(٧) فضلًا عن الخيول والحمير ذات الألوان المتعددة(٨).

---

(١) معية سنية تركي: محفظة ٩٠، ملخصات دفاتر، دفتر ٨٠، وثيقة رقم ٢٢٨، ١٦ شعبان ١٢٥٢، ٢٦ نوفمبر ١٨٣٦م؛ محكمة الإسكندرية: س ٢٥٢، مبايعات، مادة ٣٦٣، ٢١ ذي الحجة ١٣٠١هـ/ ١١ أكتوبر ١٨٨٤م، ٧٣٠.

(٢) نفسه: محفظة ٨٤، دفتر ٧٥، وثيقة ٦٥٨، ١٢ رجب ١٢٥٢هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٨٣٦م، ص ٢١٢؛ سجلات الحوض والمحمودية، س م/ ١/ ٥/ ٩، وثيقة ١٤٠، ١٤ صفر ١٢٩٩هـ/ ٢٢ نوفمبر ١٨٨١، ص٧.

(٣) مديرية البحيرة س ١، صادر مديرية البحيرة إلى الإسكندرية، وثيقة رقم ٩٠، ٢٥ صفر ١٢٦١هـ/ ٥ مارس ١٨٤٥م، ص ٥١٥.

(٤) محكمة النجيلة: س ٣١٨، مادة ١٨، ١٢ ذى القعدة ١٣٢٠هـ/ ١٠ فبراير ١٩٠٣، ص٦.

(٥) مديرية البحيرة: س ٢٤٠، صادر الفروع إلى ناظر مبيضة النجيلة، ل/ ١٣/ ٥/ ٧، وثيقة ١٠٨، ١٠ صفر ١٢٦٥هـ/ ٦ يناير ١٨٤٩م، ص٦٦٩.

(٦) محكمة سيوة: س ١٢٤٢، مادة ٥، ٦ رجب ١٣٠٥هـ/ ١٩ مارس ١٨٨٨م، ص٥.

(٧) مديرية البحيرة: س ٢١٦، صادر دواوين لمديرية جرجا، وثيقة ٢٨٠، ٢٨ رمضان ١٢٩٣هـ/ ٧ أكتوبر ١٨٧٦، ص١٤٩.

(٨) نفسه: س ٨٩٠، ج٩، وارد البحيرة إلى سايرة، وثيقة ٦٦، ٩ جمادى الأولى ١٢٧١هـ/ ٢٨ يناير ١٨٥٥م، ص ١١١.

ولم تكن مبيعات وادي النطرون قاصرة على داخل مصر فقط، وإنما صدرت كميات كبيرة من مادة النطرون والصابون والزجاج والحصير وبعض المنسوجات الصوفية والمشغولات اليدوية والخيول وعسل النحل إلى كل من سوريا وليبيا وشبه جزيرة العرب وتركيا[١].

وذهب أغلب إنتاج الوادي من مادة النطرون إلى دول أوروبا، نظرًا لتميزه وشهرته فتصارعت عليه كل من النمسا والمجر وإيطاليا وفرنسا وإنجلترا من أجل استيراده بواسطة وكلائها حتى لا تتعطل مصانعها[٢].

وقد اعتمد الوادي على الأقاليم المجاورة والقريبة في الحصول على أكثر احتياجاتها من الخامات والمنتجات اللازمة للاستهلاك المحلي أو للصناعات الموجودة بها في ذلك الوقت.

حيث اعتمد الوادي في الحصول على كميات كبيرة من المنتجات الغذائية التي لم تكن كافية لسد حاجاته على إقليم المنوفية مثل السكر والعسل الأسود وزيت السيرج[٣] فضلًا عن استيراد الدوبار وبعض أنواع الكتان اللازم لصناعة الخيش والبرادع[٤].

كما أمدت سيوة الوادي بكميات كبيرة من البلح بكافة أنواعه والتي استخدمت في صناعة العجوة[٥]، بالإضافة إلى زيت الزيتون وسمن الغنم لإعادة تنقيته وتسويقه بالقاهرة أو الإسكندرية لشهرته[٦].

---

(١) محافظ سيادية: محفظة ٢، مجلس ملكية، دفتر ١٥٦، محفظة ٣١، ٢٢ محرم ١٢٥٣هـ/ ٢٨ إبريل ١٨٣٧م، ص ٥.

(٢) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، صادر المجلس إلى مديرية البحيرة، وثيقة بدون رقم، ١٩ جماد الآخرة ١٢٩٢هـ/ ٢٢ مايو ١٨٧٥م.

(٣) ديوان شورى المعاونة: محفظة ٢٢، مخلصات دفاتر، دفتر ٢٨٦، مكاتبة رقم ٢٠٤٨، ٢٩ شوال ١٢٥٨هـ/ ٤ ديسمبر ١٨٤٢م.

(٤) مديرية البحيرة: س ٨٧٥، وارد البحيرة من مجلس الأحكام، وثيقة ٥٠، غرة محرم ١٢٧٠هـ/ ١٤ أكتوبر ١٨٥٣م، ص١١٦.

(٥) مديرية البحيرة: س ٢١٦، صادر دواوين إلى سايرة، وثيقة ١٢٥، ٦ شوال ١٢٩٣هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٨٧٦م، ص١٤٧.

(٦) محكمة سيوة: س ١٢٤٥، مادة ٥، ٦ شعبان ١٣٠٧هـ/ ٢٧ مارس ١٨٩٠م، ص٧؛ نفسه سجل: ١٢٤٢، مادة ١٠، ٢٤ من ذي القعدة ٥-١٣ هـ/ الأول من أغسطس ١٨٨٨م، ص١٠.

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك مجموعة من السلع الغذائية التي كانت تصل الوادي من القاهرة والفيوم وبعض مدن الصعيد، مثل البن والسكر والعسل الأسود وغيرها من السلع[1].

ومجمل القول، إن النشاط التجاري ازدهر في وادي النطرون خلال القرن التاسع عشر ويرجع ذلك إلى أهمية موقعه الجغرافي بين أقاليم مصر، وتعدّد الطرق التجارية البرية والمائية المؤدية إليه، وقربه من الأسواق المحلية والدولية، كما أنه مثل محطة للقوافل التجارية الداخلية والخارجية -على نحو ما رأينا- مما أدى إلى تعدد فئات التجار، وزيادة النشاط التجاري بها.

كذلك اشتهر الوادي بإنتاج مادة النطرون فازدهرت تجارته، نتيجة لتعدد أنواعه والصناعات القائمة عليه، فزاد الطلب داخليًّا وخارجيًّا، فازدهرت صادراته وكثرت مشكلاته وقضاياه، لدرجة جعلت بعض حكام مصر وبعض الدول الأوروبية التي يصدر إليها النطرون يتدخلون لإنهائها حتى لا تعرقل تجارته وتتوقف مصانعهم.

كما زادت عمليات التبادل التجاري بين وادي النطرون وبعض الأقاليم الداخلية والخارجية، ويرجع ذلك إلى تنوع الموارد الاقتصادية والحيوانية والصناعية، وكان الميزان التجاري لصالح وادي النطرون خاصة في القرن التاسع عشر.

(١) محافظ عابدين: محفظة ٢٦٤، وثيقة ٢٢، ٦ محرم ١٢٥٤هـ/ ٢ إبريل ١٨٣٨م؛ محكمة الفيوم، س ٥، م ٢٢٩، ٥ ذى القعدة ١٢٧٣هـ/ ٢٧ يونيو ١٨٥٧م، ص ٩٠.